الفصل الثالث

الصـــــوم

مفهوم الصوم:

الصوم: تَرْكُ الطعام والشراب والنكاح والكلام. يقال: صَامَ يَصُومُ صَوْمًا وصِيامًا، واصْطَامَ، ورجل صائمٌ وصَوْمٌ من قومٍ صُوَّامٍ وصُيَّامٍ وصُوُّمٍ، بالتشديد، وصُيَّم، وصِيَّم...

ومنه قوله عز وجل: إنى نذرت للرحمن صومًا، قيل: معناه صَمتًا، ويقويه قوله تعالى: فلن أكلِّم اليوم إنسيًّا. وفى الحديث: قال النبى صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى، وأنا أجزى به، لأن الصوم ليس يظهر من ابن آدم بلسانٍ ولا فِعْلٍ فتكتبه الحَفَظَة، إنما هو نية فى القلب وإمساك عن حركة المطعم والمَشْرب، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: ليس فى الصوم رياء.

والصوم: الإمساك عن الشئ والترك له، وقيل للصائم صائمٌ لإمساكه عن المَطْعَم والمَشْرَب والمَنْكَح، وقيل للصامت صائم لإمساكه عن الكلام، وقيل للفرس صائم لإمساكه عن العَلَفِ مع قيامه.

والصوم ترك الأكل. وقال الخليل: الصوم قيام بلا عمل. قال أبو عبيدة: كل مُمْسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم. والصوم البيعة.

والصوم: ركود الريح. يقال: صامت الريح: رَكَدَت. وصام النهار صَوْمَاً إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة. وصامتِ الشمس: استوت. وصامت الشمس عند انتصاف النهار إذا قامت ولم تبرح مكانها.

والصوم: عُرَّةُ النَّعَام، وهو ما يرمى به من دُبُره. يقال: صام النعام إذا رمى بذرقه.

والصوم: شجر على شكل شخص الإنسان كريه المنظر جدًا... وليس له ورق [1].

وتستعمل اللغة العبرية لفظين للتعبير عن معنى الصوم وهما:

1 -«صُوْم» وهو اسم مشتق من الفعل «صَامْ»، وهو اسم مشترك فى اللغات السامية ويعنى ترك الطعام والشراب لفترة محددة. وقد ورد هذا الاسم للتعبير عن الصوم فى معظم شواهد المقرا (العهد القديم).

(1) لسان العرب، مادة صوم.

2 -« تَعَنِيتْ» وهو اسم مشتق من الفعل «عِنَّا» وزن فعّل فى العبرية ويعنى: أَذَلَّ، عَذَّبَ، قَهَر. والاسم المشتق تعنيت يعنى: العَنَت والعناء وإذلال الجسد والنفس[1]. وقد ورد للتعبير عن معنى الصوم فى معظم شواهد المشنا، وورد مرة واحدة فى سفر عزرا 5/9، وهو من الأسفار المتأخرة التى تمثل بدايات عصر المشنا.

أسباب الصوم فى المقرا:

تعددت أسباب الصوم التي وردت فى المقرا، فقد فرضت التوراة صوم يوم الغفران للتكفير عن الذنب وجعلته فريضة دهرية (لاويين 16/ 29). كما اعتاد بنو إسرائيل الصوم للتعبير عن الحزن والحداد، فقد صام سكان يابيش جلعاد عندما سمعوا بموت شاءول (صموئيل الأول 31/ 12 – 13)، وكذلك صام داود عندما علم بموت شاءول (صموئيل الثانى 1/ 2، 11 – 12).

كما اعتادوا الصوم عند المرض طلبًا للشفاء، فقد صام داود عندما مرض ابنه، طلبًا لشفائه، وقد توقف عن صومه عندما علم بموته(صموئيل الثانى 12/ 16 – 23)، (مزامير 35/ 13).

ولجأ بنو إسرائيل إلى الصوم عند حدوث الكوارث الطبيعية، فصاموا عندما ضربهم الجراد وأتى على كل مظاهر الحياة، كما جاء فى (يوئيل 1/ 13 – 14)، وعندما أصابهم القحط والجفاف الذى ورد فى إرميا 14/ 1 – 6.

وصاموا عند الهزيمة فى الحروب، فجاء فى (قضاة 20/ 26)أن جميع بنى إسرائيل بعد أن هزمهم بنو بنيامين بكوا وصاموا وأصعدوا محرقات وذبائح سلامة للرب.

وجاء فى (صموئيل الأول 7/ 5 – 6) أن صموئيل جمعهم فى المصفاة، وصاموا بعد هزيمتهم أمام الفلسطينيين.

كما صاموا خوفا من الحروب، فقد نادى يهوشافاط بالصوم لما علم بمقدم بنى موآب وبنى عمون لمحاربته (أخبار الأيام الثانى 20/ 3). أو خوفاً مما سيحل بهم كما حدث فى

(1) معجم ابن شوشان: مادة: «صوم»، «تعنيت».

(أستير 4/ 16) فقد صاموا ثلاثة أيام متواصلة عندما أمر هامان بقتل جميع اليهود وإبادتهم فى الثالث عشر من آذار (أستير 3/ 12 – 13).

وقد صاموا خوفاً من عقاب الرب لهم بسبب آثامهم وشرورهم كما جاء فى (ملوك أول 21/ 9، 27) و (إرميا 36/ 6 – 9)، وفى (يونان 3/ 5 – 8) صام أهل نينوى جميعا وفرضوا الصوم على البهائم أيضاً كى يرجع الرب عن غضبه.

وصاموا طلباً للصفح والغفران كما جاء فى (لاويين 16/ 29) و (دانيال 9/ 3 – 5) و (نحميا 9/ 1). وقد صام داود تأديباً للنفس (مزامير 69/ 10 – 11).

كما نص سفر زكريا (7/ 3 – 6، 8/ 19) على أيام صوم بعينها فى الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر[1]، وذكر أنها ذكرى أحداث أليمة ألمت ببنى إسرائيل، ولم يبين السفر هذه الأحداث، إلا أنه قد ورد ذكرها فى سفر الملوك الثانى (25/1 – 9، 25)، وهى حصار نبوخذ نصر لأورشليم، واقتحامها، وتدمير الهيكل، وقتل جدليا بن أحيقام. فقد قيل:

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِمُلْكِهِ، فِي الشَّهْرِ الْعَاشِرِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ، جَاءَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ هُوَ وَكُلُّ جَيْشِهِ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَنَزَلَ عَلَيْهَا، وَبَنَوْا عَلَيْهَا أَبْرَاجًا حَوْلَهَا. (2) وَدَخَلَتِ الْمَدِينَةُ تَحْتَ الْحِصَارِ إِلَى السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ صِدْقِيَّا. (3) فِي تَاسِعِ الشَّهْرِ اشْتَدَّ الْجُوعُ فِي الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَكُنْ خُبْزٌ لِشَعْبِ الأَرْضِ. (4) فَثُغِرَتِ الْمَدِينَةُ، وَهَرَبَ جَمِيعُ رِجَالِ الْقِتَالِ لَيْلاً مِنْ طَرِيقِ الْبَابِ بَيْنَ السُّورَيْنِ اللَّذَيْنِ نَحْوَ جَنَّةِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْكَلْدَانِيُّونَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مُسْتَدِيرِينَ. فَذَهَبُوا فِي طَرِيقِ الْبَرِّيَّةِ. (5) فَتَبِعَتْ جُيُوشُ الْكَلْدَانِيِّينَ الْمَلِكَ فَأَدْرَكُوهُ فِي بَرِّيَّةِ أَرِيحَا، وَتَفَرَّقَتْ جَمِيعُ جُيُوشِهِ عَنْهُ. (6) فَأَخَذُوا الْمَلِكَ وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ إِلَى رَبْلَةَ وَكَلَّمُوهُ بِالْقَضَاءِ عَلَيْهِ. (7) وَقَتَلُوا بَنِي صِدْقِيَّا أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَقَلَعُوا عَيْنَيْ صِدْقِيَّا وَقَيَّدُوهُ بِسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بَابِلَ.

(8) وَفِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ، فِي سَابِعِ الشَّهْرِ، وَهِيَ السَّنَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ نَبُوخَذْ نَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، جَاءَ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرَطِ عَبْدُ مَلِكِ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، (9) وَأَحْرَقَ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ، وَكُلَّ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ.

(1) هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنَّ صَوْمَ الشَّهْرِ الرَّابِعِ وَصَوْمَ الْخَامِسِ وَصَوْمَ السَّابِعِ وَصَوْمَ الْعَاشِرِ يَكُونُ لِبَيْتِ يَهُوذَا ابْتِهَاجًا وَفَرَحًا وَأَعْيَادًا طَيِّبَةً. فَأَحِبُّوا الْحَقَّ وَالسَّلاَمَ. زكريا 8/ 19.

(25) وَفِي الشَّهْرِ السَّابِعِ جَاءَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نَثَنْيَا بْنِ أَلِيشَمَعَ مِنَ النَّسْلِ الْمَلَكِيِّ، وَعَشَرَةُ رِجَالٍ مَعَهُ وَضَرَبُوا جَدَلْيَا فَمَاتَ، وَأَيْضًا الْيَهُودُ وَالْكَلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْمِصْفَاةِ.

وتكررت هذه الأحداث مرة أخرى فى (إرميا 39 /1 – 2، 41 /1 – 3).

فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِصِدْقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا فِي الشَّهْرِ الْعَاشِرِ، أَتَى نَبُوخَذْرَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ وَكُلُّ جَيْشِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرُوهَا. (2) وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِصِدْقِيَّا، فِي الشَّهْرِ الرَّابِعِ، فِي تَاسِعِ الشَّهْرِ فُتِحَتِ الْمَدِينَةُ.

وَكَانَ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ نَثَنْيَا بْنِ أَلِيشَامَاعَ، مِنَ النَّسْلِ الْمُلُوكِيِّ، جَاءَ هُوَ وَعُظَمَاءُ الْمَلِكِ وَعَشَرَةُ رِجَالٍ مَعَهُ إِلَى جَدَلْيَا بْنِ أَحِيقَامَ إِلَى الْمِصْفَاةِ، وَأَكَلُوا هُنَاكَ خُبْزًا مَعًا فِي الْمِصْفَاةِ. (2) فَقَامَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نَثَنْيَا وَالْعَشَرَةُ الرِّجَالِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَضَرَبُوا جَدَلْيَا بْنَ أَحِيقَامَ بْنِ شَافَانَ بِالسَّيْفِ فَقَتَلُوهُ، هذَا الَّذِي أَقَامَهُ مَلِكُ بَابِلَ عَلَى الأَرْضِ. (3) وَكُلُّ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، أَيْ مَعَ جَدَلْيَا، فِي الْمِصْفَاةِ وَالْكَلْدَانِيُّونَ الَّذِينَ وُجِدُوا هُنَاكَ، وَرِجَالُ الْحَرْبِ، ضَرَبَهُمْ إِسْمَاعِيلُ.

ويتبين مما سبق أن التوراة لم تفرض الصوم كعبادة إلا فى يوم الغفران فقط، وأن الطابع العام الذى يغلب على معظم مناسبات الصوم هو الحزن والحداد والفزع.

كما يتبين مما سبق أن بنى إسرائيل قد ميزوا فى (المقرا) بين نوعين من الصوم: صوم عرضى أو طارئ، وصوم يتكرر كل عام فى أيام بعينها. وميزوا فى النوع الثانى بين صوم يوم الغفران، وصوم الأيام الأربعة التى وردت فى سفر زكريا، فصوم يوم الغفران فرضته التوراة فى (لاويين 16/ 29: «ويكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر تذللون نفوسكم (أى تصومون) وكل عمل لا تعملون الوطنى والغريب النازل فى وسطكم». وقد ميزت التوراة هذا اليوم وحرمت العمل فيه، كما هو الحال فى يوم السبت. أما صوم الأيام الأربعة فقد وضع بعد السبى البابلى ليذكرهم بالأحداث الأليمة التى وقعت فى تلك الأيام.

ويتبين أيضاً أن بنى إسرائيل عرفوا نوعين من الصوم: صوم فردى وصوم جماعى. لكن لم تتطرق المقرا إلى موانع الصوم ولا الأيام التى يحرم فيها الصوم.

الطقوس التى اقترنت بالصوم فى المقرا:

ارتبط الصوم فى المقرا بالمصائب والنوازل، لذلك اقترن بالنفخ فى البوق والهتاف والصراخ، إذ إنها وسائل للاستغاثة، وطلب الرحمة من الرب عند الشدائد، فقد جاء فى (عدد 10 /9): «على عدو يضر بكم تهتفون بالأبواق...»، لذلك فقد اقترن الصوم بالنفخ فى البوق فى (يوئيل 2/ 15): «اضربوا بالبوق فى صهيون قدسوا صومًا نادوا باعتكاف»، كما اقترن الصوم بالاحتشاد والصراخ إلى الرب فى (يوئيل 1 /14): «قدسوا صومًا نادوا باعتكاف اجمعوا الشيوخ جميع سكان الأرض إلى بيت الرب إلهكم واصرخوا إلى الرب».

ونظرًا لأن الامتناع عن الطعام والشراب يعد مظهرًا من مظاهر التعبير عن الحزن والحداد فقد اعتادوا فى صومهم أن يبكوا، وأن يلبسوا المسوح، وأن يجلسوا على الرماد كما ورد فى أستير 4 /3، وفى يونان 3 /5 – 6) وقد ارتبط الصوم فى بعض الأحيان بتقديم قرابين (قضاة 20 /26) أى أنهم نظروا إلى الصوم وكأنه وسيلة لاسترضاء الرب مثل تقديم القرابين. وبما أن الرب قد يتقبل قربانًا ويرفض الآخر، لذلك نجد إشعياء 9 /5 يميز بين نوعين من الصوم: صوم مقبول، وصوم غير مقبول.

:

الصوم فى المشنا والتلمود:

أنواع الصوم:

ميز علماء المشنا بين نوعين من الصوم:

1 –الصوم الذى فرضته التوراة، وهو صوم يوم الغفران.

2 –الصوم الذى فرضه علماء الشريعة على الجمهور عند الشدائد والنوازل «الصوم الجماعى».

3 –وأضاف علماء التلمود نوعا آخر من الصوم، هو الصوم الفردي الذي يجب على من رأى حلما سيئا في منامه.

خصص علماء المشنا لصوم يوم الغفران بابًا مستقلا هو «مسخت يوما»، ويعنى «باب اليوم» أى باب يوم الغفران. ويبدو أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الصوم عموما فى الشريعة اليهودية قد ارتبط بالحزن والحداد، على حين عد علماء المشنا يوم الغفران يومًا مباركا، ولا يوجد فى السنة يومًا أفضل منه ومن يوم الخامس عشر من شهر آب (مسخت تعنيت 4/ 8)، لذلك أفردوا له بابا مستقلا ولم يطلقوا عليه اسم الصوم.

ويقع هذا الباب فى ثمانية فصول تناقش طقوس يوم الغفران. فقد خصصوا الفصول السبعة الأولى منه – والتي جاءت فى اثنين وخمسين تشريعًا– لوصف الخدمة التى كان يقوم بها الكاهن الأكبر فى بيت المقدس فى هذا اليوم للتفكير عن ذنبه وعن بيته وعن بنى إسرائيل. كما وصفوا فى هذه الفصول خطوات إعداد الكاهن للخدمة فى هذا اليوم خلال الأسبوع الذى يسبق يوم الغفران. وخصصوا الفصل الثامن والأخير من هذا الباب– ويضم تسعة تشريعات فقط– لمناقشة أحكام الصوم فى يوم الغفران.

أما أحكام الصوم الذى فرضه علماء الشريعة على الجمهور عند الشدائد والنوازل، والذي يغلب عليه طابع الحزن والحداد، فقد خصصوا له بابًا يسمى «مسخت تعنيت» أى باب العنت والعناء. ويتكون من أربعة فصول تضم أربعة وثلاثين تشريعًا. ناقشوا فيها أسباب الصوم الجماعى، وميقاته وأنواعه، والطقوس التى تقترن به، وحددوا الأيام التى يحرم الصوم فيها، وبينوا متى يحل للصائم أن يقطع صومه؟ كما ناقشوا آداب الصوم، أى ما يحرم على الصائم أن يقوم به فى أيام الصوم، ولكنهم لم يتعرضوا فى هذا الباب للصوم الذى يتطوع به الفرد.

أولاً : صوم يوم الغفران،يوم كبور:

جاءت أحكام هذا اليوم فى التوراة فى (لاويين 16 /1 – 34) و (لاويين 23/ 26 – 32) و (عدد 7/ 11) و (خروج 30/ 10) وبلغ عدد الفقرات التي تتناولها 46 فقرة، تناولت 37 فقرة منها الشعائر التى كان يقوم بها الكاهن للتكفير عن نفسه وعن بيته، والشعائر التى كان يقوم بها للتكفير عن ذنوب الشعب، فكان يذبح ثور الخطيئة ليكفر عن نفسه وعن بيته، ويذبح تيس الخطيئة ليكفر عن الشعب، وينضح من دم الثور ومن دم التيس على المذبح، ويقدسه من نجاسات بنى إسرائيل.

فكان الكاهن يضع يديه على رأس التيس الحى ويقر عليه بكل ذنوب بنى إسرائيل، ويرسله بيد من يقابله إلى البرية ليحمل التيس كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة. ثم يعمل محرقته ومحرقة الشعب. ويكفر عن نفسه وعن الشعب. ويقدم مع كل محرقة تقدمتها.

أما عن وجوب صيام هذا اليوم والامتناع عن العمل فيه، فقد جاء فى عشر فقرات فقط هى (لاويين 16 /29 – 31، 34)

وَيَكُونُ لَكُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً، أَنَّكُمْ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ، وَكُلَّ عَمَلٍ لاَ تَعْمَلُونَ: الْوَطَنِيُّ وَالْغَرِيبُ النَّازِلُ فِي وَسَطِكُمْ. (30)لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ. (31) سَبْتُ عُطْلَةٍ هُوَ لَكُمْ، وَتُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً.

وَتَكُونُ هذِهِ لَكُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً لِلتَّكْفِيرِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُمْ مَرَّةً فِي السَّنَةِ». فَفَعَلَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى.

و(لاويين 23/26 – 32)

وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: (27) «أَمَّا الْعَاشِرُ مِنْ هذَا الشَّهْرِ السَّابِعِ، فَهُوَ يَوْمُ الْكَفَّارَةِ. مَحْفَلاً مُقَدَّسًا يَكُونُ لَكُمْ. تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ وَتُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. (28) عَمَلاً مَا لاَ تَعْمَلُوا فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ، لأَنَّهُ يَوْمُ كَفَّارَةٍ لِلتَّكْفِيرِ عَنْكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ. (29) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَتَذَلَّلُ فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ تُقْطَعُ مِنْ شَعْبِهَا. (30) وَكُلَّ نَفْسٍ تَعْمَلُ عَمَلاً مَا فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ أُبِيدُ تِلْكَ النَّفْسَ مِنْ شَعْبِهَا. (31)عَمَلاً مَا لاَ تَعْمَلُوا. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ. (32)إِنَّهُ سَبْتُ عُطْلَةٍ لَكُمْ،

فَتُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ. فِي تَاسِعِ الشَّهْرِ عِنْدَ الْمَسَاءِ. مِنَ الْمَسَاءِ إِلَى الْمَسَاءِ تَسْبِتُونَ سَبْتَكُمْ.

ويتبين مما جاء فى الفقرات السابقة أن التوراة عدت شهر تشرى، وهو الشهر الذى يقع فيه يوم الغفران، على أنه الشهر السابع؛ لأنها اعتبرت شهر نيسان هو رأس السنة وأول الشهور استنادًا إلى ما جاء فى خروج 12 /2: هذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ. هُوَ لَكُمْ أَوَّلُ شُهُورِ السَّنَةِ.

على حين يعد شهر تشرى أول شهور السنة العبرية حالياً. ويبدأ يوم الغفران مع غروب شمس اليوم التاسع من شهر تشرى، ويستمر حتى غروب شمس اليوم العاشر وظهور النجم. وقد فرضت التوراة فى هذا اليوم الامتناع عن الطعام، والشراب، وعدم القيام بأى عمل من الأعمال.

ويتبين مما جاء فى الفصل الثامن من «باب اليوم» أى باب يوم الغفران أن علماء المشنا قد أضافوا إلى النواهى التى فرضتها التوراة فى هذا اليوم، وقد فصلوا أحكامًا أجملتها التوراة، وتطرقوا إلى أمور غفلتها التوراة. ويمكننا تقسيم أحكام الصوم فى يوم الغفران كما جاءت فى المشنا على النحو التالى:-

ما يحرم القيام به فى يوم الغفران:

أضاف علماء المشنا إلى التحريمين الواردين فى التوراة وهما: الامتناع عن الطعام والشراب، وعدم القيام بأى عمل من الأعمال التى يحرم القيام بها فى يوم السبت[1]، أربعة أمور محرمة، وهى:

1 – الاغتسال. 2 – استعمال الطيب. 3 – انتعال النعال المصنوعة من الجلد.

4 – المعاشرة الزوجية.

حكم من أكل أو شرب أو قام بعمل ما فى يوم الغفران:

ناقش علماء المشنا حكم من أكل أو شرب أو قام بعمل ما فى يوم الغفران، وهو الأمر الذى لم تتطرق إليه التوراة، فقد حددوا مقدارًا للطعام ومقدارًا للشراب، وميزوا بين حكم من فعل ذلك ناسيًا أو ساهيًا ومن فعل ذلك عامدًا، وقرروا أن من أكل طعامًا فى حجم التمرة الكبيرة بنواتها، أو من شرب شرابا ملء فمه فى يوم الغفران وكان ناسيًا أو ساهيًا فعليه أن

(1) وهى تسعة وثلاثون عملاً جاءت فى باب السبت، الفصل السابع، التشريع الثانى.

يقدم قربان خطيئة[1]، أما من فعل ذلك عامدًا فعقوبته القطع «كاريت»[2].

وقرروا أن من يأكل أو يشرب هذا القدر الذى حددوه على دفعات على مدار اليوم وليس دفعة واحدة فقد تعدى النهى الذى فرضته التوراة.

وميز علماء المشنا بين السهو وعدم العلم بالفريضة، وقرروا أن من تناول طعاما أو شرابا وهو لا يعلم أن الطعام والشراب محرم فى يوم الغفران، فيجب عليه أن يقدم قربان خطيئة واحد عن الأكل والشرب. لكن إن أكل وشرب وقام بعمل من الأعمال وهو لا يعلم أن الطعام والشراب والعمل محرم فى يوم الغفران فيجب عليه أن يقدم قربانين لأنه تعدى نهيين، النهى عن الطعام والشراب والنهى عن العمل (لاويين 23/ 27 – 31).

كما ميز علماء المشنا بين نوعية الطعام والشراب الذى يتناوله الصائم، وأوجبوا تقديم القربان على من أكل طعامًا صالحًا للأكل أو من شرب شرابا صالحًا للشرب. لكن من أكل طعاما غير صالح للأكل أو شرب شرابا غير صالح للشرب، مثل من شرب شراب السمك المملح، فيعفى من تقديم القربان.

من يحل لهم الإفطار فى يوم الغفران:

بين علماء المشنا من يحل لهم الإفطار فى يوم الغفران، ولم تتطرق التوراه إلى هذا الأمر، وحصروهم فيما يلى:-

- **الأطفال الذين لم يصلوا سن البلوغ:**
  - الولد أقل من ثلاثة عشر عامًا ويوم واحد.
  - البنت أقل من اثنى عشر عامًا ويوم واحد.

ولكن عليهم أن يتدربوا على الصوم قبل سنة أو سنتين من البلوغ حتى يتعودوا على أداء الفريضة.

---

(1) استنادا إلى ما جاء فى لاويين 5/ 17 – 19: وَإِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَعَمِلَ وَاحِدَةً مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ، كَانَ مُذْنِبًا وَحَمَلَ ذَنْبَهُ. (18) فَيَأْتِي بِكَبْشٍ صَحِيحٍ مِنَ الْغَنَمِ بِتَقْوِيمِكَ، ذَبِيحَةَ إِثْمٍ، إِلَى الْكَاهِنِ، فَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ مِنْ سَهْوِهِ الَّذِي سَهَا وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَيُصْفَحُ عَنْهُ. (19) إِنَّهُ ذَبِيحَةُ إِثْمٍ. قَدْ أَثِمَ إِثْمًا إِلَى الرَّبِّ.

(2) عقوبة «الكاريت» أى القطع عقوبة إلهية، وقد اختلف العلماء فى العصر الوسيط فى تفسير هذه العقوبة، فقال بعضهم إنها تعنى موت الإنسان فى منتصف العمر، وقال آخرون إنها تعنى موت أبنائه فى حياته، أو حرمانه من الإنجاب، أو الحرمان من البعث، أو كل هذه الأمور جميعا.

- **الحامل التى لا تستطيع مغالبة شهوة الطعام، فيجب أن تأكل حتى تهدأ شهوتها.**
- المريض الذى يقر الطبيب أن الصوم خطر على صحته. وفى حالة عدم وجود طبيب، إن قال المريض إن الصوم خطر على صحته يحل له الفطر.
- المريض الذى يعانى من مرض الشره الشديد، فيجب أن يطعموه فى يوم الغفران حتى وإن كان طعامًا نجسًا حتى تمتلئ عينه.

الأعمال التى يحل القيام بها فى يوم الغفران:

حدد علماء المشنا متى يحل للمرء أن يتعدى النهى عن العمل فى يوم الغفران، وحصروا ذلك فى حالات تعرض حياة الإنسان للخطر. فقرروا فى حالة: إن انهار مبنى وهناك احتمال أنه يوجد إنسان تحت الأنقاض، ويحتمل أنه مازال على قيد الحياة، ولا يُعْلَم هل هو من غير اليهود أم من بنى إسرائيل، ففى هذه الحالة أحلوا للمرء أن يرفع الأنقاض فى يوم السبت وفى يوم الغفران، فإن وُجِدَ الإنسان على قيد الحياة يواصل العمل والعناية به، وإن وُجِد وقد فارق الحياه يتركه ويتوقف عن العمل.

وقرر علماء المشنا ذلك أيضا فى حالة الخشية من استفحال المرض، فقد أحلوا للمرء أن يضع الدواء فى فم المريض الذى يشعر بألم فى حلقه خشية أن يستفحل المرض ويهدد حياته.

كيفية التكفير عن الخطايا والآثام:

حدد علماء المشنا أن التكفير عن الخطايا والآثام يكون عن طريق:-

1 -تقديم قربان الخطيئة والإثم (لاويين 5/ 7 - 19).

2 -صوم يوم الغفران.

أما إن تاب المرء فإن التوبة بمفردها تكفر عن صغائر الإثم، أى عن التعدى على أمر أو نهى، ولكنها تؤجل العقاب على كبائر الإثم حتى يأتى يوم الغفران ويكفر عنها.

الخطايا والآثام التى لا تكفرها التوبة ولا يوم الغفران:

رأى علماء المشنا أن هناك خطايا لا تكفرها التوبة ولا يكفرها يوم الغفران، وهى الخطايا والآثام التى ينوى المرء أن يقترفها عامدًا، ثم ينوى أن يتوب عنها بعد ذلك. أو ينوى أن يقترفها عامدًا ثم ينوى أن يتوب عنها فى يوم الغفران.

كما رأوا أن يوم الغفران يكفر عن تعدى الإنسان على حق الرب فقط. أما إن تعدى الإنسان على حق صاحبه فلا يكفر عنه يوم الغفران حتى يرضى صاحب الحق. وهذا هو ما ذهب إليه الربى إلعزر بن عزاريا فى تفسير ما جاء فى لاويين 16/ 30: لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ.

ثانياً: الصوم الذى فرضه علماء الشريعة على الجمهور:

تعددت أسباب الصوم الذى فرضه علماء المشنا على الجمهور، وجاء الصوم للاستسقاء (طلب نزول المطر) فى مقدمة الأسباب، يليه الصوم لدرء النوازل والمصائب ثم يأتى الصوم فى ذكرى الأحداث الأليمة التى حدثت لبنى إسرائيل فى مؤخرة هذه الأسباب.

1 - الصوم طلبًا للمطر:

لما كان فى الصوم مشقة ولا يستطيعه معظم الناس، لذلك حرص علماء المشنا على أن يتدرجوا فى طلب نزول المطر، وأن يبدأوا بطلب المطر فى أدعية الصلاة أولاً. فالصلاة أقل مشقة من الصوم، فإن تأخر نزول المطر يشرع الخاصة (علماء الشريعة) فى الصوم. فإن تأخر نزول المطر تفرض دار القضاء الصوم على الجميع ثلاثة عشر يوما غير متصلة. فإن تأخر نزول المطر يشرع الخاصة (علماء الشريعة) فى الصوم مرة أخرى. لذلك يستهل الفصل الأول من « باب الصوم» بمناقشة ميقات طلب نزول المطر فى الصلاة (دعاء الاستسقاء)، وفى أى صلاة من الصلوات اليومية؟ وما هى صيغة هذا الدعاء؟ ومتى يتوقفون عن طلب المطر فى الصلاة؟.

ميقات طلب المطر فى الصلاة:

ميز علماء المشنا بين صيغتى الدعاء الذى يذكر فيهما المطر، ورأوا أن صيغة: «مَنْ يَرِدُّ الريحَ ويُنْزِل المطر» التى تأتى فى الدعاء الثانى من أدعية الصلاة لا تعنى طلب نزول المطر، ولكن تعنى الإقرار بعظمة الرب وقدرته على إنزال المطر فى حينه. أما صيغة «امنحنا الطل والمطر» التى تأتى فى الدعاء التاسع من أدعية الصلاة فتعد دعاء استسقاء وطلب نزول المطر.

وعلى الرغم من أن صيغة «مَنْ يَرِدُّ الريحَ ويُنْزِل المطر» ليست دعاء استسقاء، فقد اختلف علماء المشنا حول ميقات إدراج هذه الصيغة فى الدعاء الثانى من أدعية الصلاة،

فيرى الربى إليعيزر أن تدرج فى اليوم الأول من عيد العرش[1]. ويرى الربى يهوشوع أن تدرج فى اليوم الأخير من عيد العرش.

وقد اختلفوا كذلك حول ميقات إدراج دعاء الاستسقاء وطلب نزول المطر: «امتحنا الطل والمطر»، فيرى الربى يهودا أن يدرج فى الصلاة الإضافية (موساف) فى اليوم الأخير من عيد العرش وحتى صلاة الشروق (شحريت) فى اليوم الأول من عيد الفصح[2]، على حين يرى الربى جمليئيل أن يدرج دعاء الاستسقاء فى الصلاة فى السابع من شهر مرحشوان (آخر أكتوبر – نوفمبر) أى بعد خمسة عشر يوما من عيد العرش حتى يتمكن آخر حاج من العودة إلى بابل. ويرى الربى ميئير أن يقال هذا الدعاء فى الصلاة حتى نهاية شهر نيسان (آخر مارس – أبريل).

مراحل الصوم طلبًا لنزول المطر (الاستسقاء):

المرحلة الأولى: إذا حل السابع عشر من شهر مرحشوان (آخر أكتوبر – نوفمبر) ولم ينزل المطر (فى فلسطين) يشرع الخاصة (وهم علماء الشريعة وتلاميذهم) فى الصوم ثلاثة أيام تبدأ بالاثنين ثم الخميس ثم الاثنين الذى يليه. ويحل لهم أن يأكلوا ويشربوا طوال الليل الذى يسبق الصوم حتى الشروق[3]. ويحل لهم فى أيام الصوم هذه أن يزاولوا عملهم، وأن يغتسلوا، وأن يتطيبوا وأن ينتعلوا النعال، وأن يعاشروا زوجاتهم.

المرحلة الثانية: إذا حل شهر كسلو (آخر نوفمبر – ديسمبر) ولم ينزل المطر، تفرض دار القضاء الصوم على عامة الشعب ثلاثة أيام تبدأ بالاثنين ثم الخميس ثم الاثنين الذى يليه. ويحل للصائمين أن يأكلوا ويشربوا طوال الليل الذى يسبق الصيام وحتى شروق

(1) عيد العرش عيد زراعى وهو موسم حج واسمه بالعبرية سكوت، ويحتفل فيه بتخزين المحاصيل الزراعية فى فصل الخريف، ويبدأ فى اليوم الخامس عشر من شهر تشرى(أكتوبر) ومدته سبعة أيام. واعتاد اليهود فى هذا العيد أن يقيموا فى عرش مصنوعة من أغصان الأشجار، وفى اليوم السابع من هذا العيد تبدأ صلاة الاستسقاء ويسمى «هوشعنا ربا» أى خلصنا يا رب.

(2) عيد الفصح، وهو موسم حج، ويبدأ فى اليوم الخامس عشر من شهر نيسان (آخر مارس – أبريل) ومدته سبعة أيام ويأتى فى فصل الربيع لذلك يسمى بعيد الربيع.

(3) ويحل الأكل والشرب طوال الليل لمن ظل مستيقظاً ولم ينم، ولكن إن نام فلا يمكنه أن يأكل إذا استيقظ خلال ساعات الليل إلا إذا كان قد نوى أن يفعل ذلك قبل أن ينام.

الشمس، أى أنهم يصومون حوالى 12 ساعة. كما يحل لهم أن يزاولوا أعمالهم، وأن يغتسلوا، وأن يتطيبوا، وأن ينتعلوا النعال، وأن يعاشروا زوجاتهم.

المرحلة الثالثة: إذا انقضت أيام الصيام تلك ولم يستجب الرب، أى لم ينزل المطر، تفرض دار القضاء على الشعب صوم ثلاثة أيام أخر. ويحل للصائمين أن يأكلوا ويشربوا طوال نهار اليوم السابق، أى يبدأوا الصوم منذ حلول الظلام ولمدة 24 ساعة تقريبًا. ويحرم عليهم أن يزاولوا أى عمل[1] أو أن يغتسلوا أو أن يتطيبوا أو أن ينتعلوا النعال أو أن يعاشروا زوجاتهم، وتغلق الحمامات العامة.

المرحلة الرابعة: إذا انقضت أيام الصوم تلك ولم يستجب الرب، ولم ينزل المطر، تفرض دار القضاء على الشعب صوم سبعة أيام أخر، أى أن مدة الصوم الجماعى ثلاثة عشر يوما غير متصلة. ويُزاد في أيام الصوم السبعة هذه عن سابقتها أنهم ينفخون فى البوق، ويغلقون الحوانيت التى لا تبيع الطعام. أما الحوانيت التى تبيع الطعام فتفتح فى نهار الاثنين وتغلق عند حلول المساء. أما فى يوم الخميس فتفتح مساءً إكرامًا للسبت.

المرحلة الخامسة: إذا انقضت أيام الصوم السبعة ولم يستجب الرب، ولم ينزل المطر، يعلنون الحزن والحداد، فيقللون من البيع والشراء، ومن البناء ومن الغرس ومن عقد عقدة النكاح أو الزفاف ومن تحية بعضهم بعضا، ويتصرفون كمن حل عليه سخط من الرب، ويعاود الخاصة أى علماء الشريعة الصوم حتى ينقضى شهر نيسان (أبريل)[2]. فإذا انقضى شهر نيسان ونزل المطر، فإن ذلك يعد نذير لعنة؛ لأن هذه الفترة فترة حصاد استنادا إلى ما ورد فى (صموئيل الأول 12/ 17): أَمَا هُوَ حَصَادُ الْحِنْطَةِ الْيَوْمَ؟ فَإِنِّي أَدْعُو الرَّبَّ فَيُعْطِي رُعُودًا وَمَطَرًا فَتَعْلَمُونَ وَتَرَوْنَ أَنَّهُ عَظِيمٌ شَرُّكُمُ الَّذِي عَمِلْتُمُوهُ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ بِطَلَبِكُمْ لأَنْفُسِكُمْ مَلِكًا.

(1) خلال النهار ويحل لهم أن يعملوا ليلاً.

(2) ويسمح لهم بمزاولة أعمالهم وبالاغتسال واستعمال الطيب ومعاشرة زوجاتهم وانتعال النعال.

الطقوس التى تقترن بالصوم الجماعى طلبا للمطر:

نظر علماء المشنا إلى تأخر نزول المطر على أنه نذير قحط وجفاف؛ لذلك فرضوا الصوم الجماعى إذا تأخر المطر ولم ينزل حتى شهر كسلو (آخر نوفمبر – ديسمبر) لمدة ثلاثة عشر يومًا، وراعوا فى هذا الصوم أن يكون أياما متفرقة غير متتابعة، تخفيفًا على الصائمين، كما راعوا أن يبدأ الصوم يوم اثنين ولا يبدأ يوم خميس؛ خشية أن يرفع التجار أسعار السلع لزيادة الطلب عليها قبل الصوم وقبل دخول يوم السبت. وترتب على تلك النظرة أن تخللت الصوم الجماعى طقوس تعبر عن الحزن والحداد واستشعار الخطر.

أولا: طقوس الحزن والحداد فى الصوم الجماعى:

راعى علماء المشنا ألا تبدأ طقوس الحزن والحداد مع بداية الصوم الجماعى، كما راعوا التدرج فى طقوس الحزن وفى عدد ساعات الصوم كما يلى:

- **الأيام الثلاثة الأول:** تصل مدة الصوم فيها حوالى اثنتى عشرة ساعة، ولا يتخللها طقوس حداد.
- **الأيام الثلاثة التالية:** تزيد ساعات الصوم لتصل إلى أربع وعشرين ساعة[1] وتتخللها طقوس الحزن والحداد التالية:

التوقف عن العمل، وعدم الاغتسال، وعدم استعمال الطيب، وعدم انتعال النعال، وعدم معاشرة الزوجات، وإغلاق الحمامات العامة فى أيام الصوم هذه.

- **الأيام السبعة الأخيرة:** مثل سابقتها من حيث عدد ساعات الصوم، فيصومون حوالى أربع وعشرين ساعة، ولكن يضيفون إلى طقوس الحداد السابقة طقوسًا أشد تتمثل فى:-

إغلاق الحوانيت التى لا تبيع الطعام، والنفخ فى البوق، والصلاة فى الساحات العامة.

(1) ورد فى التلمود فى باب الصوم ظهر ص 11، أن العلماء لم يفرضوا الصوم على الجمهور لمدة أربع وعشرين ساعة، وعلى مدى عشرة أيام طلبا للمطر إلا فى أرض فلسطين، ولم يفرضوا على الجمهور فى بابل الصوم لمدة أربع وعشرين ساعة إلا فى يوم التاسع من آب، الذي يعامل مثل معاملة الصوم فى يوم الغفران من حيث عدد ساعات الصوم والأعمال الخمسة التى يحرم على الصائم القيام بها.

ثانيا: طقوس الصلاة فى أيام الصوم السبعة:

لا تقام الصلاة فى أيام الصوم السبعة فى المعابد المخصصة للصلاة، ولكن تقام فى أكثر ساحات المدينة اتساعًا حتى تسع أكبر عدد ممكن من المصلين. وعند كل صلاة يوضع التابوت الذى يحوى نسخة من التوراة أمام المصلين، وينثر عليه الرماد كمظهر من مظاهر الحداد، كما ينثر الرماد على جبين رئيس اليهود المدنى، وعلى رئيس دار القضاء، فى المكان الذى يثبت عليه «التفلين» عند الصلاة كى يشعرا بالخزى ويطلبا التوبة، وينثر كل فرد الرماد على جبينه. ثم يلقى عليهم أكبر العلماء سنًا خطبة تحثهم على الندم والتوبة.

ثم يقفون للصلاة فى هذه الساحة بعد سماع هذه الخطبة، ويؤمهم أكبرهم سنًا وأكثرهم حكمة، ومن لديه أبناء يعولهم، ومن يكن بيته خاليًا من الطعام كى يصلى بقلب سليم. ويتلو فى صلاته أربعة وعشرين دعاءً: منها الثمانية عشر دعاءً التى تقال فى كل صلاة، ويضيف إليها ستة أدعية أخرى طلبًا لنزول المطر فى صلاة الشروق وصلاة الأصيل.

أدعية طلب نزول المطر (الاستسقاء):

هى ستة أدعية يبدأها بالتضرع قائلاً: «انظر يارب إلى مذلتنا، وعادى من يعادينا، وعجل بخلاصنا» وينهى تضرعه قائلاً: «من استجاب لإبراهيم فى جبل موريا، يستجب لكم ويسمع صراخكم فى هذا اليوم، مبارك أنت يارب يا فادى إسرائيل».

الدعاء الأول: ويسمى تذكار[1] ونصه كالتالى: أنت تتذكر كل الأعمال منذ الخليقة، وتتفقد جميع المخلوقات منذ القدم. أمامك كشفت كل الخفايا والمخبوءات التى منذ البدء. لأنه لا نسيان لدى كرسى مجدك، ولا شئ يخفى عنك. أنت تتذكر كل ما عمل. وكل مخلوق لا يخفى عليك. الكل جلى وظاهر أمامك يا الله يا إلهنا يا مراقب وناظر حتى آخر الأجيال. أنت تأتى بالموعد والتذكار لتتفقد كل روح ونفس، ولذكر أعمال كثيرة بلا نهاية منذ البدء أعلنتها ومنذ القدم أظهرتها هذا اليوم تذكار لليوم الأول لابتداء عملك. هو فريضة لإسرائيل... وذكرت نوح بمحبة أيضاً. وتفقدته بأمر الخلاص والرحمة... وقيل: وسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب. وقيل: وأنا أيضاً

(1) يقال هذا الدعاء فى صلاة «الموساف» الإضافية فى رأس السنة، وهو يتضمن عشرة تذكارات وردت فى التوراة.

قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون، وتذكرت عهدى... إلهنا وإله آبائنا، اذكرنا بذكر حسن أمامك، وافتقدنا بنزول الخلاص والرحمة من سموات السموات الأزلية، واذكر لنا يارب يا إلهنا العهد واليمين الذى أقسمت لإبراهيم أبينا فى جبل الموريا، وتقديم اسحق ابنه على المذبح، وكيف تغلب على رأفته ليتمم مشيئتك بقلب تام... ثبت لنا يارب يا إلهنا الكلام الذى أكدته لنا بشريعتك عن يد عبدك موسى كما قيل: أذكر لهم الميثاق مع الأولين الذين أخرجتهم من أرض مصر أمام أعين الشعوب لأكون لهم إلهاً أنا الرب. إنك تتذكر كل المنسيات ولا نسيان لدى كرسى مجدك...»

ويختم هذا الدعاء قائلاً: «من استجاب لموسى وآبائنا عند عبورهم بحر سوف، يستجب لكم ويسمع صراخكم فى هذا اليوم، مبارك يارب يا من تذكر الأمور المنسية».

الدعاء الثانى: ويسمى ضرب البوق[1] ونصه كالتالى: أنت تجليت فى سحاب مجدك على شعبك المقدس لكى تتكلم معهم. أسمعتهم صوتك من السماء وتجليت عليهم فى الغيوم اللامعة. العالم بأسره أيضا ارتج من أمامك، وبرايا الخليقة ارتعدت منك. عند تجليك على جبل سيناء يا ملكنا لتعلم شعبك الناموس والوصايا وتسمعهم عظمة صوتك، وكلامك المقدس من وسط لهيب نار. وأظهرت نفسك لهم بالرعود والبروق. وأفضت عليهم بصوت البوق كما هو مكتوب فى شريعتك: «وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدًا فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة»[2]. وقيل: «فكان صوت البوق يزداد اشتدادًا جدًا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت[3]» وقيل: «وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن. ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد[4]، وقيل: صعد الله بهتاف الرب بصوت الصور. وقيل بالأبواق وصوت الصور اهتفوا قدام الملك الرب [5]. وقيل: انفخوا فى رأس الشهر عند الهلال ليوم عيدنا.

(1) يقال هذا الدعاء فى رأس السنة فى صلاة «الموساف» الإضافية.
(2) خروج 19/ 16.
(3) خروج 19/ 19.
(4) خروج 20/ 18.
(5) مزمور 98/ 6.

هَلِّلُويَا. سَبِّحُوا اللهَ فِي قُدْسِهِ. سَبِّحُوهُ فِي فَلَكِ قُوَّتِهِ. (2) سَبِّحُوهُ عَلَى قُوَّاتِهِ. سَبِّحُوهُ حَسَبَ كَثْرَةِ عَظَمَتِهِ.(3) سَبِّحُوهُ بِصَوْتِ الصُّورِ. سَبِّحُوهُ بِرَبَابٍ وَعُودٍ. (4)سَبِّحُوهُ بِدُفٍّ وَرَقْصٍ. سَبِّحُوهُ بِأَوْتَارٍ وَمِزْمَارٍ. 5سَبِّحُوهُ بِصُنُوجِ التَّصْوِيتِ. سَبِّحُوهُ بِصُنُوجِ الْهُتَافِ. كُلُّ نَسَمَةٍ فَلْتُسَبِّحِ الرَّبَّ. هَلِّلُويَا[1].

وعن يد عبيدك الأنبياء مكتوب: «ويكون فى ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم فيأتى التائهون فى أرض آشور والمنفيون فى أرض مصر ويسجدون للرب فى الجبل المقدس فى أورشليم» [2]. وقيل: « يا جميع سكان المسكونة وقاطنى الأرض عندما ترتفع الراية على الجبال تنظرون، وعندما يضرب بالبوق تسمعون»[3].

وقيل: «ويُرى الرب فوقهم وسهم يخرج كالبرق والسيد الرب ينفخ بالبوق ويسير فى زوابع الجنوب رب الجنود يحامى عنهم رب الجنود يحامى عنكم. رب الجنود يحامى عنا».

إلهنا وإله آبائنا انفخ فى بوق كبير لحريتنا وارفع علما لجمع شتاتنا وثبت لنا يارب يا إلهنا الكلام الذى أكدت لنا فى شريعتك على يد موسى عبدك من فم جلالتك كما قيل: «وفى يوم فرحكم وفى أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكارًا أمام إلهكم أنا الرب إلهكم»[4]. لأنك تسمع صوت البوق وتسمع الهتاف ولا شبيه لك. مبارك أنت يارب يا من تسمع صوت هتاف شعبك إسرائيل برحمة.

ويختم دعاء ضرب البوق بقوله: «من استجاب ليهوشوع فى الجلجال، يستجب لكم ويسمع صرختكم فى هذا اليوم، مبارك أنت يارب يا من تسمع صوت البوق».

(1) المزمور 150.
(2) إشعياء 27/ 13.
(3) إشعياء 18/ 3.
(4) عدد 10/ 10.

الدعاء الثالث: وهو المزمور المائة والعشرون، ونصه:

إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِي صَرَخْتُ فَاسْتَجَابَ لِي. (2) يَا رَبُّ، نَجِّ نَفْسِي مِنْ شِفَاهِ الْكَذِبِ، مِنْ لِسَانِ غِشٍّ. (3)مَاذَا يُعْطِيكَ وَمَاذَا يَزِيدُ لَكَ لِسَانُ الْغِشِّ؟ (4)سِهَامَ جَبَّارٍ مَسْنُونَةً مَعَ جَمْرِ الرَّتَمِ. (5)وَيْلِي لِغُرْبَتِي فِي مَاشِكَ، لِسَكَنِي فِي خِيَامِ قِيدَارَ! (6)طَالَ عَلَى نَفْسِي سَكَنُهَا مَعَ مُبْغِضِ السَّلاَمِ. (7)أَنَا سَلاَمٌ، وَحِينَمَا أَتَكَلَّمُ فَهُمْ لِلْحَرْبِ.

ويختمه بقوله: «من استجاب لصموئيل فى المصفاة، يستجب لكم ويسمع صرختكم فى هذا اليوم، مبارك أنت يارب يا من تسمع الصراخ».

الدعاء الرابع: وهو المزمور المائة والواحد والعشرون، ونصه:

أَرْفَعُ عَيْنَيَّ إِلَى الْجِبَالِ، مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي! (2) مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. (3) لاَ يَدَعُ رِجْلَكَ تَزِلُّ. لاَ يَنْعَسُ حَافِظُكَ. (4) إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ حَافِظُ إِسْرَائِيلَ. (5) الرَّبُّ حَافِظُكَ. الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ عَنْ يَدِكَ الْيُمْنَى. (6) لاَ تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ. (7) الرَّبُّ يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ. يَحْفَظُ نَفْسَكَ. (8) الرَّبُّ يَحْفَظُ خُرُوجَكَ وَدُخُولَكَ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ.

ويختمه بقوله: «من استجاب لإيليا فى جبل الكرمل، يستجب لكم ويسمع صوت صرختكم فى هذا اليوم، مبارك أنت يارب يا من تسمع الدعاء».

الدعاء الخامس: وهو المزمور الثلاثون، ونصه:

مِنَ الأَعْمَاقِ صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ. (2) يَا رَبُّ، اسْمَعْ صَوْتِي. لِتَكُنْ أُذُنَاكَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي. (3)إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الآثَامَ يَارَبُّ، يَا سَيِّدُ، فَمَنْ يَقِفُ؟ (4) لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ. لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ. (5)انْتَظَرْتُكَ يَا رَبُّ. انْتَظَرَتْ نَفْسِي، وَبِكَلاَمِهِ رَجَوْتُ. (6) نَفْسِي تَنْتَظِرُ الرَّبَّ أَكْثَرَ مِنَ الْمُرَاقِبِينَ الصُّبْحَ. أَكْثَرَ مِنَ الْمُرَاقِبِينَ الصُّبْحَ. (7) لِيَرْجُ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ، لأَنَّ عِنْدَ الرَّبِّ الرَّحْمَةَ وَعِنْدَهُ فِدًى كَثِيرٌ، (8)وَهُوَ يَفْدِي إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ آثَامِهِ.

ويختمه بقوله: « من استجاب ليونان (يونس) من جوف الحوت، يستجب لكم ويسمع صرختكم فى هذا اليوم، مبارك أنت يا رب يا من تجيب عند الضيق».

الدعاء السادس: وهو المزمور المائة واثنان، ونصه:

يَا رَبُّ، اسْتَمِعْ صَلاَتِي، وَلْيَدْخُلْ إِلَيْكَ صُرَاخِي. (2)لاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي فِي يَوْمِ ضِيقِي. أَمِلْ إِلَيَّ أُذُنَكَ فِي يَوْمِ أَدْعُوكَ. اسْتَجِبْ لِي سَرِيعًا. (3)لأَنَّ أَيَّامِي قَدْ فَنِيَتْ فِي دُخَانٍ، وَعِظَامِي مِثْلَ وَقِيدٍ قَدْ يَبِسَتْ. (4)مَلْفُوحٌ كَالْعُشْبِ وَيَابِسٌ قَلْبِي، حَتَّى سَهَوْتُ عَنْ أَكْلِ خُبْزِي. (5)مِنْ صَوْتِ تَنَهُّدِي لَصِقَ عَظْمِي بِلَحْمِي. (6)أَشْبَهْتُ قُوقَ الْبَرِّيَّةِ. صِرْتُ مِثْلَ بُومَةِ الْخَرَبِ. (7)سَهِدْتُ وَصِرْتُ كَعُصْفُورٍ مُنْفَرِدٍ عَلَى السَّطْحِ. (8)الْيَوْمَ كُلَّهُ عَيَّرَنِي أَعْدَائِي. الْحَانِقُونَ عَلَيَّ حَلَفُوا عَلَيَّ. (9)إِنِّي قَدْ أَكَلْتُ الرَّمَادَ مِثْلَ الْخُبْزِ، وَمَزَجْتُ شَرَابِي بِدُمُوعٍ، (10)بِسَبَبِ غَضَبِكَ وَسَخَطِكَ، لأَنَّكَ حَمَلْتَنِي وَطَرَحْتَنِي. (11)أَيَّامِي كَظِلٍّ مَائِلٍ، وَأَنَا مِثْلُ الْعُشْبِ يَبِسْتُ.

أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَإِلَى الدَّهْرِ جَالِسٌ، وَذِكْرُكَ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. (13)أَنْتَ تَقُومُ وَتَرْحَمُ صِهْيَوْنَ، لأَنَّهُ وَقْتُ الرَّأْفَةِ، لأَنَّهُ جَاءَ الْمِيعَادُ. (14)لأَنَّ عَبِيدَكَ قَدْ سُرُّوا بِحِجَارَتِهَا، وَحَنُّوا إِلَى تُرَابِهَا. (15)فَتَخْشَى الأُمَمُ اسْمَ الرَّبِّ، وَكُلُّ مُلُوكِ الأَرْضِ مَجْدَكَ. (16)إِذَا بَنَى الرَّبُّ صِهْيَوْنَ يُرَى بِمَجْدِهِ. (17)الْتَفَتَ إِلَى صَلاَةِ الْمُضْطَرِّ، وَلَمْ يَرْذُلْ دُعَاءَهُمْ. (18)يُكْتَبُ هذَا لِلدَّوْرِ الآخِرِ، وَشَعْبٌ سَوْفَ يُخْلَقُ يُسَبِّحُ الرَّبَّ: (19)لأَنَّهُ أَشْرَفَ مِنْ عُلُوِّ قُدْسِهِ. الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ نَظَرَ، (20)لِيَسْمَعَ أَنِينَ الأَسِيرِ، لِيُطْلِقَ بَنِي الْمَوْتِ، (21)لِكَيْ يُحَدِّثَ فِي صِهْيَوْنَ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَبِتَسْبِيحِهِ فِي أُورُشَلِيمَ، (22)عِنْدَ اجْتِمَاعِ الشُّعُوبِ مَعًا وَالْمَمَالِكِ لِعِبَادَةِ الرَّبِّ.

ضَعَّفَ فِي الطَّرِيقِ قُوَّتِي، قَصَّرَ أَيَّامِي. (24)أَقُولُ: «يَا إِلهِي، لاَ تَقْبِضْنِي فِي نِصْفِ أَيَّامِي. إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ سِنُوكَ. (25)مِنْ قِدَمٍ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. (26)هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى، كَرِدَاءٍ تُغَيِّرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ. (27)وَأَنْتَ هُوَ وَسِنُوكَ لَنْ تَنْتَهِيَ. (28)أَبْنَاءُ عَبِيدِكَ يَسْكُنُونَ، وَذُرِّيَّتُهُمْ تُثَبَّتُ أَمَامَكَ.

ويختمه بقوله: «من استجاب لداود وسليمان فى القدس، يستجب لكم ويسمع صرختكم فى هذا اليوم، مبارك أنت يارب يا من تحنو على الأرض».

وقد اختلف الربى يهودا هناسى مع علماء المشنا حول نص الدعاء الأول والثانى ، فهو يرى أن الدعاء الأنسب فى هذه المناسبة هو الدعاء الذي يتصل بالقحط وطلب نزول المطر؛ لذلك يرى أن يكون الدعاء الأول هو ما جاء فى سفر الملوك الأول 8 /37 – 39 :

إِذَا صَارَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ، إِذَا صَارَ وَبَأٌ، إِذَا صَارَ لَفْحٌ أَوْ يَرَقَانٌ أَوْ جَرَادٌ جَرْدَمٌ، أَوْ إِذَا حَاصَرَهُ عَدُوُّهُ فِي أَرْضِ مُدُنِهِ، فِي كُلِّ ضَرْبَةٍ وَكُلِّ مَرَضٍ، (38) فَكُلُّ صَلاَةٍ وَكُلُّ تَضَرُّعٍ تَكُونُ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ كَانَ مِنْ كُلِّ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُلُّ وَاحِدٍ ضَرْبَةَ قَلْبِهِ، فَيَبْسُطُ يَدَيْهِ نَحْوَ هذَا الْبَيْتِ، (39)فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ وَاغْفِرْ، وَاعْمَلْ وَأَعْطِ كُلَّ إِنْسَانٍ حَسَبَ كُلِّ طُرُقِهِ كَمَا تَعْرِفُ قَلْبَهُ. لأَنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ قَدْ عَرَفْتَ قُلُوبَ كُلِّ بَنِي الْبَشَرِ.

وأن يكون الدعاء الثانى هو ما جاء فى سفر إرميا 14 /1 - 9 :

كَلِمَةُ الرَّبِّ الَّتِي صَارَتْ إِلَى إِرْمِيَا مِنْ جِهَةِ الْقَحْطِ: (2) «نَاحَتْ يَهُوذَا وَأَبْوَابُهَا ذَبُلَتْ. حَزِنَتْ إِلَى الأَرْضِ وَصَعِدَ عَوِيلُ أُورُشَلِيمَ. (3) وَأَشْرَافُهُمْ أَرْسَلُوا أَصَاغِرَهُمْ لِلْمَاءِ. أَتَوْا إِلَى الأَجْبَابِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً. رَجَعُوا بِآنِيَتِهِمْ فَارِغَةً. خَزُوا وَخَجِلُوا وَغَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ (4) مِنْ أَجْلِ أَنَّ الأَرْضَ قَدْ تَشَقَّقَتْ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَطَرٌ عَلَى الأَرْضِ خَزِيَ الْفَلاَّحُونَ. غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ. (5) حَتَّى أَنَّ الإِيَّلَةَ أَيْضًا فِي الْحَقْلِ وَلَدَتْ وَتَرَكَتْ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَلأٌ. (6) الْفِرَا وَقَفَتْ عَلَى الْهِضَابِ تَسْتَنْشِقُ الرِّيحَ مِثْلَ بَنَاتِ آوَى. كَلَّتْ عُيُونُهَا لأَنَّهُ لَيْسَ عُشْبٌ».

وَإِنْ تَكُنْ آثَامُنَا تَشْهَدُ عَلَيْنَا يَا رَبُّ، فَاعْمَلْ لأَجْلِ اسْمِكَ. لأَنَّ مَعَاصِيَنَا كَثُرَتْ. إِلَيْكَ أَخْطَأْنَا. (8) يَا رَجَاءَ إِسْرَائِيلَ، مُخَلِّصَهُ فِي زَمَانِ الضِّيقِ، لِمَاذَا تَكُونُ كَغَرِيبٍ فِي الأَرْضِ، وَكَمُسَافِرٍ يَمِيلُ لِيَبِيتَ؟ (9) لِمَاذَا تَكُونُ كَإِنْسَانٍ قَدْ تَحَيَّرَ، كَجَبَّارٍ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَلِّصَ؟ وَأَنْتَ فِي وَسْطِنَا يَا رَبُّ، وَقَدْ دُعِيَنَا بِاسْمِكَ. لاَ تَتْرُكْنَا!

ثالثا: طقوس النفخ فى البوق طلبًا للمطر:

يعد النفخ فى البوق فريضة توراتية عند الذهاب إلى الحرب، وفى يوم الفرح وفى الأعياد ورؤوس الشهور، فقد جاء فى سفر العدد 10 /9 - 10: «وإذا ذهبتم إلى حرب فى أرضكم على عدو يضر بكم تهتفون بالأبواق فتذكرون أمام الرب إلهكم وتخلصون من أعدائكم. وفى يوم فرحكم وفى أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكارًا أمام إلهكم».

وقد استنبط العلماء أن المقصود بالحرب فى الفقرة الأولى هو كل أمر يشكل ضررًا وخطرًا؛ لذلك فرضوا النفخ فى البوق إذا تأخر المطر ولم ينزل فى شهر كسلو (آخر نوفمبر - ديسمبر) أى عند الخوف من حدوث قحط وجفاف. ولم يفرضوا النفخ فى البوق فى جميع أيام الصوم الجماعى، بل قصروه على الأيام السبعة الأخيرة. وقد وردت حادثتان توضحان موعد وكيفية النفخ فى البوق طلبًا لنزول المطر فى فلسطين فى عصر المشنا، إحداهما كان بطلها الربى حلفتا، وكان يؤم المصلين فى مدينة صفورى، والأخرى كان بطلها الربى حنينيا بن ترديون، وكان يؤم المصلين فى مدينة سخنى. إذ قيل إن كلا منهما بدأ الصلاة، وعندما فرغ من الدعاء السابع من أدعية الصلاة، وهو دعاء «مخلص إسرائيل» ردد المصلون خلفهما: «مبارك اسم عظمة ملكوت الرب إلى الأبد»[1]، وبعد ذلك قال « الحزان» أى المرتل: «انفخوا أيها الكهنة»، ثم قال إمام المصلين: «من استجاب لأبينا إبراهيم فى جبل موريا يستجب لكم ويسمع صراخكم فى هذا اليوم».

وبعد الانتهاء من دعاء «التذكار»، قال «الحزان» : «اهتفوا يا أبناء هارون»، فنفخ الكهنة وهتفوا ثم نفخوا فى البوق، ثم قال إمام المصلين: «من استجاب لموسى ولآبائنا فى بحر سوف يستجب لكم ويسمع صوت صراخكم فى هذا اليوم».

وعندما علم العلماء بما حدث قالوا لم نعتد فعل ذلك إلا عند الباب الشرقى لبيت المقدس وفى المنطقة المحيطة به. وهناك من قال في تفسير ذلك إن المقصود أنهم لم يعتادوا خارج بيت المقدس أن ينفخوا فى البوق خلال أدعية الصلاة، ولكن بعد الصلاة.

(1) أى لم يقولوا آمين، ولا يردد المصلون هذا الترديد إلا فى بيت المقدس فقط.

ويتبين من الحادثتين أن النفخ فى البوق والهتاف فى بيت المقدس كان يتم أثناء الصلاة بعد الدعاء السابع، وبعد كل دعاء من الأدعية الستة الإضافية، التى ذكرناها، أما خارج بيت المقدس فكانوا ينفخون فى البوق بعد الصلاة.

عدد الأبواق اللازم لأداء الفريضة:

يقوم بالنفخ فى البوق فى أيام الصوم أربعة: ينفخ اثنان فى أبواق مصنوعة من المعدن (فضة)، وعن يمينهما ويسارهما ينفخ اثنان فى قرنى كبش ذوي فوهة مغطاة بالفضة. ويجب على من ينفخ فى قرن الكبش ألا يطيل فى النفخ، لأن التوراة نصت على أن يكون النفخ فى الصوم فى أبواق[1].

ولا يُنفخ فى الأبواق والقرون معا إلا فى بيت المقدس، أما خارجه فينفخ فى البوق فقط.

دواعى اقتران النفخ فى البوق بالصوم:

نص علماء المشنا على الحالات التى تستدعى النفخ فى البوق فى الصوم وهى:-

- إذا تأخر المطر ولم ينزل فى موسمه.
- إذا نزل المطر ونبت الزرع ولكن أصابه سوء، فيجب عندئذ أن يصوموا وينفخوا فى البوق.
- إذا نزل المطر فى بداية موسمه ثم توقف عن النزول لمدة أربعين يومًا، فيجب أن يصوموا وأن ينفخوا فى البوق وأن يصلوا؛ لأن ذلك نذير قحط وجفاف.
- إذا نزل المطر بكمية قليلة تكفى لرى الزرع ولا تكفى لرى الشجر.
- إذا هطل المطر بغزارة (فى حالة السيول) وروى الشجر إلا أنه جرف الزرع. أو إذا روى الزرع والشجر ولكنه لم يملأ الآبار والجباب وتجاويف المغارات، فيجب الصوم على الفور والنفخ فى الأبواق.

(1) باب رأس السنة فى المشنا، الفصل الثالث، التشريع الرابع.

2 - الصوم عند الشدائد والكوارث:

ميز علماء المشنا بين نوعين من الكوارث التى تنزل على مدينة ما ولا تنزل على المدن التى تجاورها، وحصروا النوع الأول من هذه الكوارث فيما يلى:-

عدم نزول المطر[1]، والزلازل، والوباء. وقالوا إن المقصود بالوباء هو أن يموت ثلاثة رجال خلال ثلاثة أيام متتالية فى مدينة يبلغ عدد رجالها خمسمائة رجل، أما إذا كان معدل الوفاة أقل من ذلك فلا يعد وباء».

وفرضوا فى هذا النوع من الكوارث أن يصوم سكان تلك المدينة المنكوبة وينفخون فى البوق، أما سكان المدن المجاورة لها فقد فرضوا عليهم الصوم فقط.

وحصروا النوع الثانى من الكوارث فيما يلى:-

إذا أصاب النبات لفح - إذا اصفر الزرع (اليرقان) - إذا هاجم الجراد فى أى طور من أطواره مدينة ما - إذا أغارت الحيوانات المفترسة على مدينة ما - إذا مر جنود محاربون خلال مدينة[2]. ولم يعتبر علماء المشنا المطر الغزير (فى أرض فلسطين) من بين كوارث النوع الأول أو الثانى، وإنما اعتبروه خيراً وبركة، واستدلوا على ذلك بحادثة تروى عن «حونى» صانع الدوائر[3].

وفرض علماء المشنا فى حالة حدوث واحدة من هذه الكوارث على مدينة ما أن يصوم سكان جميع المدن حتى المدن البعيدة عنها، وأن ينفخوا فى البوق نظرًا لأن هذا النوع من الكوارث ينتقل من مكان لآخر، ويشكل خطرًا على الجميع.

(1) فقد نظروا إلى عدم نزول المطر على مدينة من بين المدن على أنه عقاب من الرب استنادا إلى ما ورد فى عاموس 4/7: وَأَمْطَرْتُ عَلَى مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَعَلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى لَمْ أُمْطِرْ. أُمْطِرَ عَلَى ضَيْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالضَّيْعَةُ الَّتِي لَمْ تُمْطَرْ عَلَيْهَا جَفَّتْ.

(2) اعتبر التلمود (بابا باترا ظهر ص 91) الركود فى السلع التى يعتمد عليها اقتصاد مدينة ما، من بين تلك الكوارث، وأحل لأهل تلك المدينة أن يتضرعوا إلى الرب فى السبت. وضرب علماء التلمود مثلا للركود بأن يضطر المرء أن يبيع سلعة تكلفتها عشرة دنانير مثلا بستة حتى يجد من يشتريها.

(3) باب الصيام، الفصل الثالث، التشريع الثامن.

الأسباب التى تعفى من الصوم فى حالة النوازل والكوارث:

عندما يفرض العلماء الصوم الجماعى عند حدوث الكوارث تعفى الحوامل والمرضعات والصغار. وعندما يبدأ الجميع الصوم طلبًا للمطر فى الأيام السبعة الأخيرة، إذ يبدأ الصوم عند غروب الشمس، فإذا نزل المطر ليلاً وقبل شروق شمس يوم الصوم فلا يتموا صومهم. أما إن نزل المطر بعد شروق الشمس فعليهم أن يتموا الصوم. على حين يرى الربى إليعيزر أنه إذا نزل المطر قبل أن ينتصف النهار فلا يتموا الصوم. وإذا نزل بعد منتصف النهار فعليهم أن يتموا الصوم، ويستدل على ذلك بما حدث فى عصر المشنا، إذ فرض العلماء الصوم على سكان مدينة اللُد طلبًا للمطر، ونزل المطر قبل أن ينتصف النهار، فقال لهم الربى طرفون: اخرجوا وكلوا واشربوا واحتفلوا بهذا اليوم كاحتفالكم بالأيام المباركة. فخرجوا وأكلوا وشربوا واحتفلوا بهذا اليوم، ثم ذهبوا إلى المعبد بعد غروب الشمس وقبل ظهور النجم وقرأوا المزمور (136) الذى يسمى التسبيح العظيم.

3 - الصوم فى ذكرى الأحداث الأليمة:

على الرغم من أن سفر زكريا 8/ 19 قد نص على الصوم فى أربعة شهور حدثت فيها أحداث أليمة، فإن علماء المشنا لم يناقشوا فى «باب الصوم» إلا مناسبتين فقط، وهما: صوم السابع عشر من شهر تموز، وهو صوم الشهر الرابع الذى ورد فى سفر زكريا[1]. وصوم التاسع من آب وهو صوم الخامس الذى نص عليه سفر زكريا، وذكروا الأحداث الأليمة التى حدثت فى السابع عشر من شهر تموز وهى:-

- حطم موسى عليه السلام لوحى الشريعة بعد نزوله من الجبل، عندما رأى قومه يعبدون العجل.
- توقف اليهود عن تقديم قربان «تاميد» الصباحى والمسائى، إذ لم يستطيعوا ذلك بسبب الحصار الذى ضرب حول أورشليم زمن الهيكل الأول، وبذلك توقفت الخدمة فى الهيكل.

(1) فسفر زكريا يرتب الشهور على اعتبار أن شهر نيسان هو رأس السنة بالنسبة لترتيب الشهور استنادا إلى ما ورد فى خروج 12 /2: هذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ. هُوَ لَكُمْ أَوَّلُ شُهُورِ السَّنَةِ.

- تم اقتحام أورشليم وتدمير الهيكل للمرة الثانية، كما جاء فى سفر إرميا الإصحاح 52.
- أحرق أفسطموس، الحاكم الذى عينه انطيخوس، كتاب الشريعة.
- نصب أفسطموس صنما فى بيت المقدس (الهيكل الثانى). وجاء فى التلمود الأورشليمى: أن منسا ملك يهودا الذى تولى فترة الهيكل الأول هو الذى نصب الصنم فى الهيكل فى مثل هذا اليوم، وقد عرف عن منسا أنه كان يسفك الدماء، وكان يكثر من العبادات الغريبة فى مملكة يهودا.

أما الأحداث الأليمة التى حدثت فى التاسع من شهر آب فهى:-

- حُكم فى مثل هذا اليوم على الذين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام بأنهم لن يدخلوا أرض فلسطين عقابا لهم على خطيئة عبادة العجل.
- تم تدمير الهيكل الأول على يد الجيش البابلى، كما تم تدمير الهيكل الثانى على يد تيتوس القائد الرومانى، فى مثل هذا اليوم أيضا، استنادا إلى ما جاء فى سفر الملوك الثانى وسفر إرميا.
- وقعت مدينة «بتر» فى أيدى الرومان أثناء التمرد الذى قام به بركوخبا ورفاقه.
- دمرت مدينة أورشليم وحرثت كالحقل، وأصبح اسمها إيليا كابيتولينا، وتحققت نبوءة النبى ميخا التى جاءت فى إرميا 26 /18: إِنَّ صِهْيَوْنَ تُفْلَحُ كَحَقْلٍ وَتَصِيرُ أُورُشَلِيمُ خِرَبًا وَجَبَلُ الْبَيْتِ شَوَامِخَ وَعْرٍ.

طقوس الصوم فى التاسع من آب:

نظراً لاجتماع هذه الذكريات الأليمة فى هذا اليوم، فقد فرض العلماء فيه صوما مثل صوم يوم الغفران الذى فرضته التوراة، فيبدأ الصوم مع غروب شمس اليوم السابق وحتى ظهور النجم فى اليوم التالى.

كما يحرم على الصائم أن يقوم بأى عمل من الأعمال الخمسة التى سبق ذكرها. بل لقد اعتاد اليهود بمجرد أن يحل شهر آب أن يقللوا من مظاهر البهجة والفرح، وحرموا على المرء أن يأكل اللحم أو يشرب عصير العنب المختمر منذ بداية شهر آب وحتى انتهاء الصوم. كما حرم العلماء على الجمهور فى الأسبوع الذى يقع فيه يوم التاسع أن يحلقوا الرأس أو الذقن أو أن يغسلوا ملابسهم. وحرموا عشية يوم التاسع أن يأكل المرء صنفين من الطعام المطبوخ.

إلا إذا تصادف وكان التاسع من آب يوم سبت[1]، فإنهم كانوا يسمحون بالحلاقة وغسل الملابس إكراماً للسبت وتعظيمًا لشعائره.

وقد أورد موسى بن ميمون فى تثنية الشريعة[2]صوم الثالث من شهر تشرى، وهو صوم السابع الذى نص عليه سفر زكريا، ففى مثل هذا اليوم قُتل جدليا بن أحيقام. وصوم العاشر من طبت وهو صوم العاشر الذى نص عليه سفر زكريا، ففى مثل هذا اليوم حاصر نبوخذ نصر أورشليم. وذكر ابن ميمون أن بنى إسرائيل اعتادوا فى عصره أن يصوموا فى الثالث عشر من شهر آذار (آخر فبراير – مارس) ففى مثل هذا اليوم صام اليهود زمن حكم الملك الفارسى أحشويرش ووزيره هامان استنادا إلى ما جاء فى سفر أستير 9/31: وَكَمَا أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى نَسْلِهِمْ أُمُورَ الأَصْوَامِ وَصُرَاخِهِمْ. وإن صادف يوم الثالث عشر من آذار يوم سبت كانوا يقدمون موعد الصوم، فيصومون يوم الخميس الذى يوافق الحادى عشر من آذار.

4 - الصوم الفردى:

سبق أن ذكرنا أن علماء المشنا لم يناقشوا فى «باب الصوم»، الصوم الذى يقوم به الفرد منفردا، ولكن علماء التلمود[3] فرضوا على المرء الذى يرى حلمًا سيئًا فى نومه أن

(1) كان ذلك عندما كانوا يحددون أول الشهر بناءً على رؤية الهلال، أما فى التقويم المعمول به حاليا فلا يأتى التاسع من آب يوم سبت أبدًا.

(2) «هلخوت تعنيت» أى أحكام الصوم، الفصل الخامس.

(3) فى باب السبت وجه ص 11، وباب الدعاء ظهر ص 31.

يصوم اليوم التالى حتى لا يتحقق ما رآه فى حلمه، حتى وإن كان اليوم التالى يوم سبت، وفى هذه الحالة يصوم يوم السبت، ويجب عليه أن يصوم يومًا آخر للتكفير عن صوم السبت ومخالفة الشريعة[1].

وقد جاء فى التلمود[2]، أنه يحل للفرد أن يصوم إذا نزلت به مصيبة، استنادا إلى ما جاء فى صموئيل الثانى 12/15 – 16: وَضَرَبَ الرَّبُّ الْوَلَدَ الَّذِي وَلَدَتْهُ امْرَأَةُ أُورِيَّا لِدَاوُدَ فَثَقُلَ. (16) فَسَأَلَ دَاوُدُ اللهَ مِنْ أَجْلِ الصَّبِيِّ، وَصَامَ دَاوُدُ صَوْمًا، وَدَخَلَ وَبَاتَ مُضْطَجِعًا عَلَى الأَرْضِ.

كما أحل علماء التلمود[3] للمرء إن كان مشغولاً ولم يأكل شيئا حتى منتصف النهار أو على مدى تسع ساعات وقرر أن يصوم الساعات المتبقية من اليوم أن يصوم، ويسمى هذا صوم الساعات.

الأيام التى يحرم الصوم فيها:

لم يفرض العلماء الصوم الجماعى أو النفخ فى البوق أو الضراعة فى الصلاة فى أيام السبت، أو فى الأيام المباركة، أو فى غرة الشهور، أو فى عيد التدشين «حانوكا»، أو فى عيد القرعة «بوريم». لكنهم أحلوا النفخ فى البوق فقط فى هذه الأيام إن حاصر جنود غير يهود مدينة ما، أو فاض نهر بالمدينة وأصبحت مهددة بالغرق، أو تعرضت سفينة لعاصفة عاتية فى البحر وتوشك على الهلاك. فالنفخ فى البوق فى هذه الحالات طلبا للغوث وليس للضراعة[4].

النية فى الصوم:

لم يناقش علماء المشنا ولا علماء التلمود مسألة النية فى الصوم، ولم ترد إلا فى كتاب تثنية الشريعة، ويبدو أن موسى بن ميمون قد تأثر بالإسلام فى هذه المسألة. فقد اشترط موسى بن ميمون فى حالة الصوم الفردى أن ينوى المرء أن يصوم بعد صلاة الأصيل من

(1) باب الصوم ظهر ص 12.

(2) باب الصوم ظهر ص 22.

(3) باب الصوم ظهر ص 11 ووجه ص 12.

(4) وأحل علماء التلمود فى باب الصوم ظهر ص 22، النفخ فى البوق لإغاثة فرد يطارده أغيار أو لصوص أو أرواح شريرة، وأحل موسى بن ميمون الصوم فى السبت والنفخ فى البوق طلبًا للغوث فى هذه الحالات.

اليوم السابق للصوم، فيقول: سأصوم غدًا. كما يجب عليه أن ينوى فى قلبه، على الرغم من أنه سوف يأكل طوال الليل ولن يبدأ الصوم إلا عند الشروق. وأحل موسى بن ميمون للمرء أن ينوى أن يصوم ثلاثة أيام أو أربعة متتالية، ويحل له أن يأكل طوال الليل فى كل يوم منها ويصوم بالنهار، ولا يجب عليه أن يجدد النية لكل يوم منها فى نهار اليوم السابق[1].

حكم من يتذوق الطعام وهو صائم:

لم يناقش علماء المشنا ولا علماء التلمود مسألة تذوق الطعام أثناء الصوم، ولم ترد إلا فى كتاب تثنية الشريعة، ويبدو أن موسى بن ميمون قد تأثر بالإسلام فى هذه المسألة أيضاً، فقد أحل للمرء فى الصوم الفردى لمصيبة حلت به أو لحلم سيء رآه فى نومه، وكذلك لمن يصوم صوما جماعيا أن يتذوق الطعام الذى يعده، شريطة أن يبصق ما تذوقه ولا يبلعه.

كما أحل موسى بن ميمون لمن نسى وأكل وهو صائم مقدار حبة زيتون من الطعام أن يتم صومه[2].

(1) «هلخوت تعنيت»، الفصل الأول، التشريع العاشر.

(2) «هلخوت تعنيت» الفصل الأول، التشريع الرابع عشر.

الصوم والتقويم اليهودى فى عصرنا الحالى :

أيام الصوم الجماعى فى التقويم اليهودى المعمول به حاليًا فى إسرائيل نوعان:

1 – صوم فرضته التوراة وهو صوم يوم الغفران.

2 – صوم وضعه الأنبياء فى ذكرى أحداث أليمة مرت ببنى إسرائيل وهى:–

- صوم الثالث من شهر تشرى (صوم جدليا).
- صوم العاشر من طبت.
- صوم أستير.
- صوم السابع عشر من تموز.
- صوم التاسع من آب.

ويتبين مما سبق أن الصوم طلبًا لنزول المطر أو درءًا للكوارث والشدائد لم يعد له وجود فى التقويم الحالى. وسنعرض فيما يلى لطقوس الصوم، وأحكام الصلاة فى كل يوم من هذه الأيام وفق ترتيبها فى التقويم اليهودى الذى تبدأ فيه السنة بشهر تشرى (آخر سبتمبر – أكتوبر).

صوم جدليا:

وهو أول صوم فى السنة اليهودية؛ ويحل فى الثالث من شهر تشرى، غداة الاحتفال برأس السنة اليهودية التى يحتفلون بها فى الأول والثانى من شهر تشرى، ففى مثل هذا اليوم قتل جدليا بن أحيقام، القائد الذى عينه ملك بابل على اليهود.

يبدأ صوم هذا اليوم مع بزوغ الفجر وينتهى فى المساء عند ظهور النجم. وإن تصادف أن بدأت السنة يوم خميس فلا يصومون السبت، ويؤجلون الصوم إلى يوم الأحد.

أحكام الصلاة فى صوم جدليا:

يقال فى صلاة الشروق (شحريت) وفى صلاة الأصيل (منحا) دعاء «استجب لنا». وعلى حين يقول الحزان هذا الدعاء فى صلاة الشروق عند إعادة نص الصلاة، فإن المصلون هم الذين يقولونه همسًا كجزء من صلاة الأصيل، فيقولونه بعد الدعاء السادس

عشر وهو دعاء «سامع الدعاء»، ونصه كالتالى: استجب لنا يا أبانا. استجب لنا فى يوم هذا الصوم لأننا فى ضيقة عظيمة. لا تلتفت إلى شرنا ولا تتغاضى عن تضرعاتنا، كن قريبا لصراخنا. استجب لنا قبل أن نصرخ إليك. نحن نتكلم وأنت تسمع. كما قيل فى إشعياء 56/ 24: وَيَكُونُ أَنِّي قَبْلَمَا يَدْعُونَ أَنَا أُجِيبُ، وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بَعْدُ أَنَا أَسْمَعُ. لأنك أنت يارب فاد ومخلص، ومجيب وراحم فى كل وقت ضيق وشده.

كما يضاف التضرع التالى فى صلاة الشروق وصلاة الأصيل فى صوم جدليا، وفى الأيام العشرة الأولى من شهر تشرى، التى تسمى أيام التوبة:-

أبانا ملكنا قد أخطأنا أمامك.

أبانا ملكنا ليس لنا ملك إلا أنت.

أبانا ملكنا تعطف علينا لأجل اسمك.

أبانا ملكنا جدد لنا سنة طيبة.

أبانا ملكنا ابطل من علينا كل الأحكام القاسية والرديئة.

أبانا ملكنا ابطل أفكار مبغضينا.

أبانا ملكنا الغ مشورة أعدائنا.

أبانا ملكنا أفن كل مضايق وخصم لنا.

أبانا ملكنا أزل الطاعون والسيف والشر والجوع والسبى والنهب والهلاك والوباء والشيطان والميل إلى الشر والأمراض الخبيثة عن بنى عهدك.

أبانا ملكنا أرسل شفاء تامًا لمرضى شعبك.

أبانا ملكنا امنع الوباء عن ميراثك.

أبانا ملكنا تذكر أننا تراب.

أبانا ملكنا اعف واصفح عن كل ذنوبنا.

أبانا ملكنا مزق الحكم السيء الذى حكم علينا به.

أبانا ملكنا امح بمراحمك الكثيرة جميع واجباتنا (التى لم نقم بها).

أبانا ملكنا امح معاصينا وأزلها من أمام عينيك.

أبانا ملكنا اكتبنا فى سِفْر حياة سعيدة.

أبانا ملكنا اكتبنا فى سِفْر الصالحين.

أبانا ملكنا اكتبنا فى سِفْر المستقيمين والكاملين.

أبانا ملكنا اكتبنا فى سِفْر الإعالة والقوت.

أبانا ملكنا اكتبنا فى سِفْر العفو والسماح والغفران.

أبانا ملكنا اكتبنا فى سِفْر الخلاص والفرج.

أبانا ملكنا اذكرنا من لدنك بذكر حسن.

أبانا ملكنا أنبت لنا فرجًا قريبًا.

أبانا ملكنا ارفع قرن إسرائيل شعبك.

أبانا ملكنا وارفع قرن مسيحك.

أبانا ملكنا اجلعنا نتوب تماما أمامك.

أبانا ملكنا اسمع صوتنا. اشفق علينا وارحمنا.

أبانا ملكنا اعمل لأجلك إن لم يكن لأجلنا.

أبانا ملكنا اقبل صلاتنا برحمة ورضى.

أبانا ملكنا لا تردنا خائبين من أمامك.

حسب مراحمك الجزيلة اصفح لنا يا أبانا، لأننا أخطأنا من عظم جهلنا، اعف عنا يا ملكنا لأنه قد كثرت ذنوبنا. أنت إله طويل الأناة وقد أريتنا طريق التوبة. اذكر اليوم عظم مراحمك وأفضالك. لذرية أعزائك، أمْلِ إلينا بالرحمة. لأنك أنت صاحب الرحمة. نتقدم إليك بالتوسل والصلوات، كما أعلنت للمتواضع فى الماضى. ارجع عن حمو غضبك كما هو فى شريعتك وبظل جناحك نلتجئ ونبيت يا رب. كاليوم الذى كان فيه الرب بالسحاب. اعف عن الجرم واصفح عن الإثم كما فى اليوم الذى وقفت معه. اصغ إلى التوسل وانصت برضى إلى القول كما فى اليوم الذى نادى فيه باسم الرب وهناك قيل: إله رحيم اسمك. إله رءوف اسمك. إله بطئ الغضب اسمك. مملوء رحمة اسمك. علينا

أطلق اسمك. من أجل اسمك. عند دعائى استجب لى يا الله برى. فى الضيق رحبت لى. تراءف علىَّ واسمع صلاتى. أما أنا فلك صلاتى يارب، فى وقت رضى يا الله، بكثرة رحمتك استجب لى بحق خلاصك. استجب لى فى هذا الوقت وفى هذه الدقيقة.

ومن طقوس صوم جدليا أن يقرأ ثلاثة رجال فقرات «تسا» من سفر الخروج وهى (32/11 – 14، 34/1 – 10) فى صلاة الشروق وصلاة الأصيل وهى، صلاة موسى عليه السلام، التى طلب فيها العفو والصفح باسم شعب إسرائيل بعد خطيئة العجل؛ ولذلك تقرأ هذه الصلاة فى جميع أيام الصوم على أمل أن يستجيب الرب ويغفر كما حدث مع موسى عيه السلام، ونصها:

«فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ (12) لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ ارْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. (13) اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». (14) فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ.

(1) ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ الأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبَ أَنَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا. (2)وَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلصَّبَاحِ. وَاصْعَدْ فِي الصَّبَاحِ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ، وَقِفْ عِنْدِي هُنَاكَ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. (3) وَلاَ يَصْعَدْ أَحَدٌ مَعَكَ، وَأَيْضًا لاَ يُرَ أَحَدٌ فِي كُلِّ الْجَبَلِ. الْغَنَمُ أَيْضًا وَالْبَقَرُ لاَ تَرْعَ إِلَى جِهَةِ ذلِكَ الْجَبَلِ». (4)فَنَحَتَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ كَالأَوَّلَيْنِ. وَبَكَّرَ مُوسَى فِي الصَّبَاحِ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَأَخَذَ فِي يَدِهِ لَوْحَيِ الْحَجَرِ.

(5)فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. (6)فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. (7) حَافِظُ

الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ». (8)فَأَسْرَعَ مُوسَى وَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ. (9) وَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ فَلْيَسِرِ السَّيِّدُ فِي وَسَطِنَا، فَإِنَّهُ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. وَاغْفِرْ إِثْمَنَا وَخَطِيَّتَنَا وَاتَّخِذْنَا مُلْكًا». (10) فَقَالَ: «هَا أَنَا قَاطِعٌ عَهْدًا. قُدَّامَ جَمِيعِ شَعْبِكَ أَفْعَلُ عَجَائِبَ لَمْ تُخْلَقْ فِي كُلِّ الأَرْضِ وَفِي جَمِيعِ الأُمَمِ، فَيَرَى جَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي أَنْتَ فِي وَسَطِهِ فِعْلَ الرَّبِّ. إِنَّ الَّذِي أَنَا فَاعِلُهُ مَعَكَ رَهِيبٌ.

وفى صلاة الأصيل يقرأ ثالثهم « الهفطارا» أى جزء من أقوال الأنبياء وهو الجزء الذى يقال بعد قراءة التوراة فى السبوت والأعياد، وهو: اُطْلُبُوا الرَّبَّ مَا دَامَ يُوجَدُ. ادْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ. (7) لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ.(إشعياء 55 /6 – 7).

صوم يوم الغفران «يوم كبور»:-

يبدأ صوم يوم الغفران مع غروب شمس يوم التاسع من تشرى، ويستمر حتى ظهور نجم يوم العاشر من تشرى. وسبق أن ذكرنا أن يوم الغفران يختلف عن سائر أيام الصوم فى الشريعة اليهودية. ويمكننا أن نجمل أوجه الاختلاف فيما يلى:-

1 -يعد يوم الغفران يومًا مباركًا، ومن أفضل أيام السنة، أى أنه ليس يوم حزن أو حداد مثل سائر أيام الصوم.

2 -يتميز يوم الغفران عن سائر أيام الصوم بأنه قد يصادف يوم سبت، وهذا لا يحدث فى سائر أيام الصوم الأخرى.

3 -لا يتضرع المصلون عشية يوم الغفران، ولا يكثرون من الاستغفار كما فى سائر أيام الصوم، ولا يقولون دعاء: «أبانا ملكنا».

4 -يكثرون من الطعام الذى يعدونه عشية يوم الغفران (يوم التاسع من تشرى).

5 -يكثرون من الصدقات عشية يوم الغفران.

6 -اعتادوا أن يرتدوا فى يوم الغفران ملابس بيضاء تمثيلا لما جاء فى إشعياء 1/ 18: «إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف».

العادات المرتبطة بيوم الغفران:

نظرًا لأن يوم الغفران يعد يوماً للتكفير عن الذنوب، ونظرًا لارتباط التكفير بطقوس كان يقوم بها هارون وبنوه فى عصر التوراة، أو الكاهن الأكبر فى عصر المشنا، إذ كان الكاهن يذبح تيسًا للتكفير عن آثام الشعب ويقربه على المذبح، ويؤتى إليه بتيس آخر حى، فيضع يديه على رأسه ويقر عليه بكل ذنوب بنى إسرائيل، ويرسله بيد من يقابله إلى البرية ليحمل التيس كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة؛ لذلك اعتاد اليهود بعد تدمير الهيكل وتوقف جميع الشعائر المرتبطة به أن يذبحوا عشية يوم الغفران أو اليوم الذى يسبقه ديكًا

للتكفير عن الذكر، ودجاجة للتكفير عن الأنثى، وديكًا ودجاجة للتكفير عن المرأة الحامل، ويفضل أن يكون لون الطائر أبيض[1]، ومن الممكن أن يستعمل طائر بلون آخر فى حالة عدم وجود الأبيض، ومن الممكن أن يستعمل السمك بدلاً من الدجاج، لكن يحرم استعمال اليمام أو الحمام لأنه كان يقدم كقربان على المذبح، ويجوز استعمال المال للتكفير.

ويطاف بالدجاج أو السمك أو المال حول رأس المكفر عنه ثلاث مرات ويقول: هذا بديل عنى، هذا مقابلى، هذا فداء لى، ليذهب هذا الديك إلى الموت، وأذهب أنا إلى حياة طيبة سالمة. وإذا كان التكفير باستعمال المال يقول: «ليذهب هذا المال للصدقة...».

وبعد التكفير يتصدق المرء بالمال ويعطى الدجاج أو السمك للمحتاجين. ومن الممكن أن تكتفى الأسرة بطائرين للتكفير عن أفرادها: ديك للتكفير عن كل أبناء الأسرة، ودجاجة للتكفير عن كل بنات الأسرة.

وعلى الرغم من أن الفقهاء – أمثال الربى موسى بن نحمان (القرن الثالث عشر الميلادى)، ويوسف قارو (القرن السادس عشر الميلادى)– قد نهوا اليهود عن ذلك، فقد استمرت هذه العادة.

طقوس عشية يوم الغفران:

- من المعتاد فى صباح التاسع من تشرى أن يتحلل المرء من كل نذر أو قسم أو تحريم أو دعاء بالشر أو حرمان يكون قد نذره أو قطعة على نفسه فى اليقظة أو فى النوم، إن لم يكن قد تحلل منه عشية رأس السنة.
- اعتاد اليهود أن يصلوا صلاة الأصيل فى التاسع من تشرى مبكرًا، بعد انتصاف النهار مباشرة؛ كى يتمكنوا من تناول « الوجبة الفاصلة» بعد الصلاة وقبل غروب الشمس.

(1) يبدو أن اليهود قد أخذوا هذه العادة عن الأقوام الذين عاشوا بينهم فى عصر التلمود، ويتبين ذلك من نهى علماء التلمود اليهود أن يبيعوا للأغيار ديكًا أبيض لكى يستعملوه فى طقوس عبادتهم. راجع ترجمة باب العبادات الأجنبية، ص 118، 119. ومما يؤكد ذلك أن فقهاء العصر الوسيط قد نهوا عن هذه العادة، وقال عنها الربى موسى بن نحمان إنها من عادات الأغيار (الأمورين).

- لا تختلف صلاة الأصيل فى التاسع من تشرى عنها فى الأيام المعتادة إلا فى قول «الإقرار بالذنب» بعد الصلاة همسًا، وهو عماد التوبة، ونصه كما يلى:-

«أثمنا. غدرنا. نهبنا. وشينا. أغوينا. عملنا الشر. طغينا. ظلمنا. زوَّرنا. أشرنا مشورات رديئة. كذبنا. ازدرينا. سخرنا. تمردنا. عيّرنا. زنينا. حلفنا باطلاً وكذبا. عصينا. أذنبنا. أجرمنا. ضايقنا. تعنتنا. صرنا أشرارًا. فسدنا. عملنا رجسًا. ضللنا وأضللنا. حِدنا عن وصاياك وأحكامك الصالحة ولم ننتفع، ولكن أنت عادل فى كل ما أتى علينا لأنك أنتَ عملتَ الحق ونحن قد أذنبنا».

- يقال «الإقرار بالذنب» عشر مرات فى يوم الغفران، فيقال مرة همسا بعد صلاة الأصيل عشية يوم الغفران فى التاسع من تشرى، ومرتان فى صلاة الليل، ومرتان فى صلاة الشروق، ومرتان فى الصلاة الإضافية «موساف» ومرتان فى صلاة الأصيل فى العاشر من تشرى، ومرة فى الصلاة الختامية «نعيلا».
- بعد صلاة الأصيل فى التاسع من تشرى يغطسون فى مغاطس التطهير، ثم يلبسون ملابس العيد البيضاء، ويتناولون « الوجبة إلفاصلة»، وقد سميت كذلك لأنها تفصل بين الإفطار والصوم. ويستحب أن يكون الطعام فى هذه الوجبة سهل الهضم. ويجب أن ينتهوا من تناول الطعام قبل الغروب بنصف ساعة على الأكثر؛ كى يتمكنوا من الذهاب إلى المعبد والصلاة قبل غروب الشمس.
- واعتادوا قبل الذهاب إلى المعبد أن يبارك رب الأسرة أبناءه كلا على حده، وأن يضع يده اليمنى على رأس الابن ويباركه قائلا: «يجعلك الرب كأفريم ومنسا (أبناء يوسف عليه السلام)، ويسبغ عليكم الرب بركة وفيرة ونجاحًا فى كل عمل تعمله أيديكم. ويكتبكم لحياة طيبة وطويلة مع الصديقين وكل إسرائيل آمين».

- ويدعو للبنت قائلا: «يجعلك الرب كسارة ورفقه وراحيل وليئة...».
- ثم يذهب أفراد الأسرة إلى المعبد وهم يرتدون ملابس بيضاء، وينتعلون نعالاً غير مصنوعة من الجلد، ويمسكون كتاب الصلوات الخاص بالأعياد «محزور» ووشاح الصلاة «طاليت»؛ لكى يصلوا صلاة «زاخا» وصلاة «كل النذور» قبل غروب الشمس.

صلاة «زاخا»:

يدخل المرء المعبد ويرتدى وشاح الصلاة «طاليت» ويقول الدعاء الخاص به[1]، ثم يبدأ صلاة «زاخا»[2]، وهى عبارة عن حساب للنفس وحديث مع القدوس تبارك، وإقرار بالذنب وندم وأمل فى أن يخلق الرب للمرء قلبًا طاهرًا وروحاً جديدة سليمة».

صلاة «كل النذور»:

يُفتح التابوت المقدس الموجود فى المعبد قبل بداية صلاة «كل النذور»، ويحمل اثنان من أكبر رجال الطائفة مقامًا سفرى التوراة، ويقفان عن يمين وعن شمال «الحزان» المرتل.

وعندما يفتح التابوت يقف الجمهور الموجود فى المعبد ويردد ويكرر ثلاث مرات الفقرة التالية: «نور ساطع للصديق، وفرح لمستقيمى القلب» (مزمور 97/ 11).

ثم يعلن «الحزان» : «فى المجلس العلوى وفى المجلس الأرضى، وبإذن الرب، وبإذن الطائفة يحل أن يصلوا مع الآثمين».

وبعد ذلك يردد «الحزان» والحضور نص صلاة «كل النذور» ثلاث مرات. وجوهر هذه الصلاة تصريح من رئيس الحشد يتضمن موافقة دار القضاء أنه إن صدر عن امرئ قول أو سلوك لا يتناسب مع توجهات اليهودى المؤمن، فليعلم الجميع منذ البداية أن

---

(1) انظر نص الدعاء ص 125.

(2) يبدو من اسم الصلاة أنها تطهير للنفس، فالفعل «زاخا» من معانيه: طهر، تبرأ. فكأن المرء بهذه الصلاة يطهر نفسه، مثلما طهر بدنه بالغطس فى مغاطس التطهير لاستقبال يوم الغفران.

تلك الأقوال قد صدرت من الفم فقط وسببها الضغوط الاجتماعية، أما قلب المرء وداخله فمتعلق بالرب وبشريعته[1].

وقد وضع نص هذه الصلاة على خلفية إكراه اليهود على الدخول فى النصرانية فى الأندلس. فكان اليهود المكرهون يذهبون فى الخفاء فى يوم الغفران ويتحللون من أى قسم أو يمين ومن اعتناقهم النصرانية أمام دار قضاء، وبالتحلل من القسم والنذر «يحل لهم أن يصلوا»، أى أنهم يتحللون بذلك من كل قول أو سلوك أكرهوا عليه، فيعد ما أكرهوا عليه لاغيا وباطلا ويظلون على يهوديتهم فى كل شئ.

وسبب تكرار نص هذه الصلاة ثلاث مرات أن دار القضاء عندما كانت تحلهم من النذر كانت تكرر الصيغة ثلاث مرات: يحل لك، يحل لك، يحل لك.

وبعد صلاة «كل النذور»، يردد الرجال مع «الحزان» دعاء «مَنْ أحيانا»، ثم يعيدون سفرى التوارة إلى التابوت مرة أخرى، ويتقدمون لأداء صلاة الليل.

الصلاة على أرواح الموتى:

بعد صلاة الشروق «شحريت» فى يوم الغفران، وقبل صلاة «الموساف» الإضافية، تصلى فى المعبد صلاة على أرواح الموتى - بالإضافة إلى الصلاة التى تقام فى الذكرى السنوية للمتوفى - وتقام هذه الصلاة فى اليوم الثامن من عيد العرش «شمينى عتصرت»، وفى اليوم السابع من عيد الفصح، وفى عيد الأسابيع، بالإضافة إلى يوم الغفران. فيتذكرون فى تلك الأيام الموتى ويخرجون الصدقات على أرواحهم.

وقد أضيفت فقرتان فى العصر الحالى لهذه الصلاة: فقرة لضحايا النازى، وأخرى للقتلى الذين سقطوا فى الحروب الإسرائيلية. ومن المعتاد أن يعفى كل من كان والداه على قيد الحياة من المشاركة فى هذه الصلاة، ويخرج من المعبد عند أدائها.

(1) يبدو أن الهدف الحقيقى لهذه الصلاة هو فتح الباب أمام اليهود الذين ارتدوا عن اليهودية كرها أو طوعًا، والسماح لهم بالعودة إليها مرة أخرى عشية يوم التكفير عن الذنوب؛ لكى تقبل توبتهم، ويغفر ذنبهم فى يوم الغفران.

صوم العاشر من طبت (آخر ديسمبر – يناير):

فى مثل هذا اليوم بدأ نبوخذ نصر ملك بابل حصار أورشليم، وقد استمر الحصار ما يربو على السنة ونصف السنة. وفى السابع عشر من تموز دكت أسوار المدينة. وبعد ذلك بثلاثة أسابيع، فى التاسع من آب أضرمت النيران فى بيت المقدس.

يبدأ الصوم والامتناع عن الأكل والشرب مع بزوغ فجر اليوم العاشر ويستمر حتى المساء عندما يظهر النجم. وإذا صادف العاشر من طبت يوم جمعة (عشية السبت) يصومونه ولا يؤجلونه. وأحكام الصلاة فى هذا اليوم هى نفسها أحكام الصلاة فى صوم جدليا، وصوم أستير، وصوم السابع عشر من تموز. ويتم الإعلان عن الصوم فى المعبد فى السبت الذى يقولون فيه دعاء أول الشهر، حتى لا ينسى الجمهور.

وعند تأسيس دولة إسرائيل، اتخذت الحاخامية الأساسية فى إسرائيل هذا اليوم ليكون يومًا للترحم على الذين قتلهم النازى فى الحرب العالمية الثانية، وذلك بإيقاد الشموع، وقول دعاء «قديش»[1].

واتخذ الكنيست الإسرائيلى بعد ذلك يوم 27 نيسان من كل عام لإحياء ذكرى أحداث النازى والبطولة اليهودية» ففى مثل هذا اليوم من سنة 1943 م سقط جيتو وارسو فى أيدى الألمان بعد قتال شرس من جانب المقاتلين اليهود.

صـــوم أســتير:

يحل صوم أستير فى الثالث عشر من آذار (آخر فبراير – مارس) عشية عيد « البوريم» القرعة، ويحتفل به فى الرابع عشر والخامس عشر من آذار. وأحكام الصلاة فى هذا اليوم لا تختلف عن أحكام الصلاة فى صوم جدليا والعاشر من طبت، والسابع عشر من تموز.

ومن الطقوس التى يمارسها اليهود فى هذا اليوم إحياء زكاة «نصف الشاقل» التى كانت تخصص زمن وجود الهيكل لشراء القرابين الجماعية، ولترميم الهيكل وتجميل أورشليم.

(1) انظر: هامش ص 129، و ص 156 – 157.

فعند انتهاء الصوم يضعون فى طبق موجود فى المعبد ثلاث قطع نقدية قيمة كل منها نصف شاقل، ويرمز العدد ثلاثة للطلب الذى طلبته أستير من اليهود، فقد طلبت منهم أن يصوموا ثلاثة أيام، وأن يتوبوا لكى تتهيأ الأجواء لحدوث المعجزة المرجوة، وأن يخلصهم الرب من المذبحة التى كان يدبرها الوزير الفارسي لهم.

صوم السابع عشر من تموز (آخر يونيو - يوليو)،

فى مثل هذا اليوم دكت أسوار أورشليم بعد الحصار الذى استمر قرابة العام ونصف العام. وقد حدثت خمسة أحداث مفجعة فى مثل هذا اليوم[1]. وأحكام الصلاة فى هذا اليوم هى نفسها أحكام الصلاة فى صوم جدليا، وصوم العاشر من طبت، وصوم أستير. ويبدأ الصوم فى هذا اليوم مع بزوغ الفجر ويستمر حتى ظهور النجم. ويتم الإعلان عن الصوم فى السبت الذى يقولون فيه دعاء أول الشهر[2].

يطلق على الأسابيع الثلاثة التى تبدأ بالسابع عشر من تموز وحتى التاسع من آب اسم بين المضايق، وفقا لما جاء فى مراثى إرميا 1/ 3: «قد أدركها كل طاردیها بين الضيقات»، فهذه الأيام أيام ضيق وحداد. وتزداد طقوس الحداد مع اقتراب التاسع من آب تدريجيًا على النحو التالى:-

أ- من السابع عشر من تموز وحتى بداية شهر آب: لا يحلقون الرأس أو الذقن، ولا يذهبون لأماكن المرح أو اللهو. واعتاد اليهود الاشكناز على عدم إقامة حفلات زفاف فى هذه الأيام وحتى بعد ظهيرة يوم العاشر من آب.

ب- من بداية شهر آب وحتى العاشر من آب: اعتادوا أن يفعلوا ما سبق، بالإضافة إلى الامتناع عن أكل اللحوم أو شرب «البين» عصير العنب المختمر، كرمز لتوقف القرابين، وسكب «البين» على المذبح.

---

(1) انظر: ص 214.

(2) فالإعلان عن الصوم يقتصر على صوم العاشر من طبت وصوم السابع عشر من تموز فقط، حتى لا ينسى الجمهور، ولكن لا يعلن عن أيام الصوم المشهورة مثل يوم الغفران والتاسع من آب وصوم أستير وصوم جدليا، ولا تعلن الطوائف الاشكنازية عن الصوم مطلقا.

ج – الأسبوع الذى يقع فيه التاسع من آب: يضاف إلى ما سبق، عدم الاستمتاع بالاغتسال، وعدم الانتقال إلى مسكن جديد، وعدم شراء ملابس جديدة.

صوم التاسع من آب (آخر يوليو – أغسطس):

هو يوم للحداد القومى فى إسرائيل، فلقد حدث فى مثل هذا اليوم خمسة أحداث مفجعة[1]. وقد فرض علماء المشنا فيه الأحكام نفسها المتبعة فى صوم يوم الغفران، فيبدأ الصوم مع غروب شمس اليوم السابق وحتى ظهور النجم فى اليوم التالى، ويحرم على الصائم أن يأكل أو يشرب أو يقوم بأى عمل من الأعمال التى يحرم القيام بها فى السبت، ويحرم الاغتسال، واستعمال الطيب، وانتعال النعال المصنوعة من الجلد، وتحرم معاشرة الزوجات.

واعتادوا أن يأكلوا فى «الوجبة الفاصلة» بيضة مسلوقة موضوعة فى الرماد، مثلما يفعلون فى الحداد، ويرمز الرماد إلى ما خلفه حريق بيت المقدس. كما اعتادوا أن يتناول كل منهم الطعام بمفرده، ولا يجتمع أفراد الأسرة لتناول الطعام.

أحكام الصلاة فى التاسع من آب:

يذهبون إلى المعبد عشية يوم الصوم، وبعد أداء صلاة «الليل» يجلسون على الأرض أو على مقاعد منخفضة، ويقرأون على ضوء خافت مراثى إرمُيا، وهى المراثى التى قالها النبى إرميا الذى عاصر خراب أورشليم. فيقرأون الإصحاحات الخمسة التى تصور الخراب وعذاب المسبيين. وفى الختام يردد الجمهور بصوت عال الفقرة قبل الأخيرة 5 /21: «اردنا يارب إليك فنرتد. جدد أيامنا كما كان قديما» مرتين.

وبعد قراءة مراثى إرميا، يقولون بعض الرثاء، وينصرفون من المعبد ولا يلقون السلام، كما هو الحال فى الحداد.

وفى صباح يوم التاسع من آب يخصصون عدة ساعات للصلاة ولترتيل المراثى المصنفة فى كتاب يسمى «مراثى التاسع من آب». وكما هو الحال عند الحداد لا يتشحون بوشاح

(1) انظر: ص 214 – 216.

الصلاة «طاليت» فى صلاة «الشروق»، ولا يضعون التفلين. وبعد الصلاة يقرأ ثلاثة رجال من التوراة جزءًا من الإصحاح الرابع من سفر التثنية، الفقرات من 25 – 27:

إِذَا وَلَدْتُمْ أَوْلاَدًا وَأَوْلاَدَ أَوْلاد، وَأَطَلْتُمُ الزَّمَانَ فِي الأَرْضِ، وَفَسَدْتُمْ وَصَنَعْتُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا صُورَةَ شَيْءٍ مَّا، وَفَعَلْتُمُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ لإِغَاظَتِه، (26)أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا. لاَ تُطِيلُونَ الأَيَّامَ عَلَيْهَا، بَلْ تَهْلِكُونَ لاَ مَحَالَةَ. (27)وَيُبَدِّدُكُمُ الرَّبُّ فِي الشُّعُوبِ، فَتَبْقَوْنَ عَدَدًا قَلِيلاً بَيْنَ الأُمَمِ الَّتِي يَسُوقُكُمُ الرَّبُّ إِلَيْهَا.

وتتضمن هذه الفقرات تحذير موسى عليه السلام لبنى إسرائيل من القلاقل التى ستحل عليهم إذا أداروا ظهورهم للرب.

ثم يقولون– بعد قراءة الجزء السابق– «الهفطارا»، أى الجزء الذى يُقْرَأ من أسفار الأنبياء، من سفر إرميا من الإصحاح الثامن الفقرة الثالثة عشرة إلى الإصحاح التاسع الفقرة الخامسة.

نَزْعًا أَنْزِعُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. لاَ عِنَبَ فِي الْجَفْنَةِ، وَلاَ تِينَ فِي التِّينَةِ، وَالْوَرَقُ ذَبُلَ، وَأُعْطِيهِمْ مَا يَزُولُ عَنْهُمْ». (14)لِمَاذَا نَحْنُ جُلُوسٌ؟ اجْتَمِعُوا فَلْنَدْخُلْ إِلَى الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ وَنَصْمُتْ هُنَاكَ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَنَا قَدْ أَصْمَتَنَا وَأَسْقَانَا مَاءَ الْعَلْقَمِ، لأَنَّنَا قَدْ أَخْطَأْنَا إِلَى الرَّبِّ. (15)انْتَظَرْنَا السَّلاَمَ وَلَمْ يَكُنْ خَيْرٌ، وَزَمَانَ الشِّفَاءِ وَإِذَا رُعْبٌ. (16)مِنْ دَانَ سُمِعَتْ حَمْحَمَةُ خَيْلِه. عِنْدَ صَوْتِ صَهِيلِ جِيَادِه ارْتَجَفَتْ كُلُّ الأَرْضِ. فَأَتَوْا وَأَكَلُوا الأَرْضَ وَمِلأَهَا، الْمَدِينَةَ وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا. (17) « لأَنِّي هأَنَذَا مُرْسِلٌ عَلَيْكُمْ حَيَّاتٍ، أَفَاعِيَ لاَ تُرْقَى، فَتَلْدَغُكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ».

(18)مَنْ مُفَرِّجٌ عَنِّي الْحُزْنَ؟ قَلْبِي فِيَّ سَقِيمٌ. (19)هُوَذَا صَوْتُ اسْتِغَاثَةِ بِنْتِ شَعْبِي مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ: « أَلَعَلَّ الرَّبَّ لَيْسَ فِي صِهْيَوْنَ، أَوْ مَلِكُهَا لَيْسَ فِيهَا؟» «لِمَاذَا أَغَاظُونِي بِمَنْحُوتَاتِهِمْ، بِأَبَاطِيلَ غَرِيبَةٍ؟» (20)«مَضَى الْحَصَادُ، انْتَهَى الصَّيْفُ، وَنَحْنُ لَمْ نَخْلُصْ!» (21)مِنْ أَجْلِ سَحْقِ بِنْتِ شَعْبِي انْسَحَقْتُ. حَزِنْتُ. أَخَذَتْنِي دَهْشَةٌ. (22)أَلَيْسَ بَلَسَانٌ فِي جِلْعَادَ، أَمْ لَيْسَ هُنَاكَ طَبِيبٌ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تُعْصَبْ بِنْتُ شَعْبِي.

(1)يَا لَيْتَ رَأْسِي مَاءٌ، وَعَيْنَيَّ يَنْبُوعُ دُمُوعٍ، فَأَبْكِيَ نَهَارًا وَلَيْلاً قَتْلَى بِنْتِ شَعْبِي. (2)يَا لَيْتَ لِي فِي الْبَرِّيَّةِ مَبِيتَ مُسَافِرِينَ، فَأَتْرُكَ شَعْبِي وَأَنْطَلِقَ مِنْ عِنْدِهِمْ، لأَنَّهُمْ جَمِيعًا زُنَاةٌ، جَمَاعَةُ خَائِنِينَ. (3)«يَمْدُدُونَ أَلْسِنَتَهُمْ كَقِسِيِّهِمْ لِلْكَذِبِ. لاَ لِلْحَقِّ قَوُوا فِي الأَرْضِ. لأَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ شَرٍّ إِلَى شَرٍّ، وَإِيَّايَ لَمْ يَعْرِفُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. (4)احْتَرِزُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ، وَعَلَى كُلِّ أَخٍ لاَ تَتَّكِلُوا، لأَنَّ كُلَّ أَخٍ يَعْقِبُ عَقِبًا، وَكُلَّ صَاحِبٍ يَسْعَى فِي الْوِشَايَةِ. (5)وَيَخْتِلُ الإِنْسَانُ صَاحِبَهُ وَلاَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْحَقِّ. عَلَّمُوا أَلْسِنَتَهُمُ التَّكَلُّمَ بِالْكَذِبِ، وَتَعِبُوا فِي الاقْتِرَاءِ. (6)مَسْكَنُكَ فِي وَسْطِ الْمَكْرِ. بِالْمَكْرِ أَبَوْا أَنْ يَعْرِفُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ.

(7)«لِذلِكَ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هأَنَذَا أُنَقِّيهِمْ وَأَمْتَحِنُهُمْ. لأَنِّي مَاذَا أَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ بِنْتِ شَعْبِي؟ (8)لِسَانُهُمْ سَهْمٌ قَتَّالٌ يَتَكَلَّمُ بِالْغِشِّ. بِفَمِهِ يُكَلِّمُ صَاحِبَهُ بِسَلاَمٍ، وَفِي قَلْبِهِ يَضَعُ لَهُ كَمِينًا. (9)أَفَمَا أُعَاقِبُهُمْ عَلَى هذِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمْ لاَ تَنْتَقِمُ نَفْسِي مِنْ أُمَّةٍ كَهذِهِ؟».

(10)عَلَى الْجِبَالِ أَرْفَعُ بُكَاءً وَمَرْثَاةً، وَعَلَى مَرَاعِي الْبَرِّيَّةِ نَدْبًا، لأَنَّهَا احْتَرَقَتْ، فَلاَ إِنْسَانَ عَابِرٌ وَلاَ يُسْمَعُ صَوْتُ الْمَاشِيَةِ. مِنْ طَيْرِ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْبَهَائِمِ هَرَبَتْ مَضَتْ. (11)«وَأَجْعَلُ أُورُشَلِيمَ رُجَمًا وَمَأْوَى بَنَاتِ آوَى، وَمُدُنَ يَهُوذَا أَجْعَلُهَا خَرَابًا بِلاَ سَاكِنٍ».

(12)مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الْحَكِيمُ الَّذِي يَفْهَمُ هذِهِ، وَالَّذِي كَلَّمَهُ فَمُ الرَّبِّ، فَيُخْبِرَ بِهَا؟ لِمَاذَا بَادَتِ الأَرْضُ وَاحْتَرَقَتْ كَبَرِّيَّةٍ بِلاَ عَابِرٍ؟ (13)فَقَالَ الرَّبُّ: «عَلَى تَرْكِهِمْ شَرِيعَتِي الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَهُمْ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِي وَلَمْ يَسْلُكُوا بِهَا. (14)بَلْ سَلَكُوا وَرَاءَ عِنَادِ قُلُوبِهِمْ وَوَرَاءَ الْبَعْلِيمِ الَّتِي عَلَّمَهُمْ إِيَّاهَا آبَاؤُهُمْ. (15)لِذلِكَ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: هأَنَذَا أُطْعِمُ هذَا الشَّعْبَ أَفْسَنْتِينًا وَأَسْقِيهِمْ مَاءَ الْعَلْقَمِ، (16)وَأُبَدِّدُهُمْ فِي أُمَمٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا هُمْ وَلاَ آبَاؤُهُمْ، وَأُطْلِقُ وَرَاءَهُمُ السَّيْفَ حَتَّى أُفْنِيَهُمْ.

(17)«هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: تَأَمَّلُوا وَادْعُوا النَّادِبَاتِ فَيَأْتِينَ، وَأَرْسِلُوا إِلَى الْحَكِيمَاتِ فَيُقْبِلْنَ (18)وَيُسْرِعْنَ وَيَرْفَعْنَ عَلَيْنَا مَرْثَاةً، فَتَذْرِفَ أَعْيُنُنَا دُمُوعًا وَتَفِيضَ أَجْفَانُنَا مَاءً. (19)لأَنَّ صَوْتَ رِثَايَةٍ سُمِعَ مِنْ صِهْيَوْنَ: كَيْفَ أُهْلِكْنَا؟ خَزِينَا جِدًّا لأَنَّنَا تَرَكْنَا الأَرْضَ، لأَنَّهُمْ هَدَمُوا مَسَاكِنَنَا». (20)بَلِ اسْمَعْنَ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ كَلِمَةَ الرَّبِّ، وَلْتَقْبَلْ آذَانُكُنَّ كَلِمَةَ فَمِهِ، وَعَلِّمْنَ بَنَاتِكُنَّ الرِّثَايَةَ، وَالْمَرْأَةُ صَاحِبَتَهَا النَّدْبَ! (21)لأَنَّ الْمَوْتَ طَلَعَ إِلَى كُوَانَا، دَخَلَ قُصُورَنَا لِيَقْطَعَ الأَطْفَالَ مِنْ خَارِجٍ، وَالشُّبَّانَ مِنَ

السَّاحَاتِ. (22)تَكَلَّمْ: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: وَتَسْقُطُ جُثَّةُ الإِنْسَانِ كَدِمْنَةٍ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ، وَكَقَبْضَةٍ وَرَاءَ الْحَاصِدِ وَلَيْسَ مَنْ يَجْمَعُ!

(23)« هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. (24)بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ.

ويصف هذا الجزء الحداد على خراب بيت المقدس وبداية السبى.

وبعد قراءة التوراة تقرأ فصول الرثاء، وفى الجزء الأخير منها تأتى القصيدة التى قالها الربى يهودا اللاوى (القرن الثانى عشر الميلادى) فى رثاء صهيون، وهى قصيدة صهيون «ألا تسألين عن حال سباياك»، وبعد ذلك يقرأون مراثى إرميا مرة ثانية» ويستمر هذا الجو الذى يسوده الحزن والحداد حتى منتصف اليوم.

بعد الظهيرة يذهبون إلى المعبد لصلاة « الأصيل»، ويتشحون فيها بوشاح الصلاة» ويضعون التفلين، وتطبق فيها أحكام الصلاة فى صوم جدليا، والعاشر من طبت، والسابع عشر من تموز، ولكنهم لا يتضرعون فى هذا اليوم.

وفى صلاة الجماعة يضاف جزء خاص بالحداد يسمى «واسِى يارب»، يُدْرَج فى دعاء «مشيد القدس»[1]، ويلحق بعد قول دعاء: «استجب لنا» الذى يقال فى أيام الصوم.

وفى نهاية اليوم يصلون صلاة « الليل» كما فى الأيام المعتادة، ويقطعون الصوم بتناول وجبة من منتجات الألبان؛ لأن أكل اللحوم وشرب « البين» يظل محرمًا حتى بعد ظهيرة يوم العاشر من آب.

ونظرًا لطبيعة هذا اليوم، وما يتسم به من حزن وحداد، فإن حل التاسع من آب يوم سبت يؤجل الصوم يومًا واحدًا، ويبدأ مع غروب شمس يوم السبت.

---

(1) انظر: ص 167.

الصوم الفردى:

ويُقصد به الصوم الذى لا يُفرض على الجميع، وإنما يلتزم به بعض الأفراد أو بعض الطوائف أو بعض شرائح المجتمع مثل:-

صوم الأبكار، تعنيت بخوروت:

وهو صوم يجب على كل بكر، سواء كان بكر أبيه أم بكر أمه. وسواء كان ذكرًا أم أنثى، فيجب عليه أن يصوم عشية عيد الفصح [1]؛ لأن الرب قد نجى أبكار بني إسرائيل من الضربة التى ضرب بها كل بكر فى أرض مصر قبل الخروج منها (خروج 12/ 29).

صوم الاثنين والخميس:

اعتادت بعض طوائف اليهود الشرقيين أن يصوموا الاثنين والخميس معظم العام، وهذا الصوم ليس فرضًا، وإنما تطوعا وزلفى.

الصوم فى ذكرى أحداث النازى، ومقتل إسحق رابين:

اعتاد اليهود العلمانيين وبعض يهود التيار الإصلاحى أن يصوموا فى ذكرى أحداث النازى، كما أنهم ينادون فى السنوات الأخيرة بالصوم فى ذكرى مقتل إسحق رابين، على غرار الصوم فى ذكرى مقتل جدليا.

بعد عرض موضوع الصوم في اليهودية والإسلام يتبين ما يلي:-

1 - أن الصوم في اليهودية يشبه إلى حد كبير الصوم في الإسلام، فهو امتناع عن الطعام والشراب ومعاشرة النساء، ويختلف عنه في عدد ساعات الصوم في بعض الأيام.

2 - تختلف عدد ساعات الصوم باختلاف نوع الصوم في اليهودية:

أ- ففي صوم يوم الغفران، وصوم التاسع من آب يبلغ عدد ساعات الصوم أربع وعشرين ساعة، منذ غروب شمس اليوم السابق وحتى ظهور النجم في اليوم التالي.

(1) أول أيامه الخامس عشر من نيسان (آخر مارس – أبريل).

ب- أما عن الصوم طلبا للمطر فتختلف عدد الساعات في كل مرحلة من المراحل ؛ ففي المراحل: الأولى والثانية والخامسة يبلغ عدد ساعات الصوم اثنتى عشرة ساعة، من الشروق إلى غروب الشمس ، أما في المرحلتين الثالثة والرابعة فيبلغ عدد ساعات الصوم أربع وعشرين ساعة من غروب الشمس إلى غروب شمس اليوم التالي.

ج- أما الصوم في ذكرى الأحداث الأليمة (خمسة أحداث) فيبلغ عدد ساعات الصوم اثنتى عشرة ساعة، من الشروق إلى غروب الشمس.

3 - ارتبط الصوم في اليهودية - باستثناء صوم يوم الغفران- بالحزن والحداد والشدائد والنوازل، سواء كان صوما جماعيا أم صوما فرديًا.

4 - أن صوم يوم الغفران الذي نصت عليه التوراة هو الوحيد من بين أيام الصوم الذي يعد عبادة، فهو تكفير عن الذنوب.

5 - أدرك علماء المشنا الفرق الجوهري بين أنواع الصوم في اليهودية؛ لذلك أفردوا لصوم يوم الغفران - وهو صوم العبادة- بابا مستقلا في كتاب المشنا، وهو باب «اليوم» ، استدركوا فيه نقص نص التوراة، وناقشوا حكم من يأكل أو يشرب في هذا اليوم عمدا أو سهوا، ومقدار الطعام أو الشراب الذي يأكله، كما بينوا الفئات التي يحل لها الإفطار في ذلك اليوم، وأوضحوا الخطايا والآثام التي لا يكفرها صيام ذلك اليوم.

6 - أفرد علماء المشنا لأيام الصوم الأخرى- التي هي أيام حزن وحداد- بابا آخر هو باب «تعنيت»؛ أي العنت والمشقة، وهو اسم على مسمى. وقد احتل موضوع الصوم طلبا للمطر الجزء الأكبر من هذا الباب؛ نظرا لطبيعة أرض فلسطين الجغرافية، إذ ندرة الأمطار، وكثرة التعرض للقحط والجفاف. يلي ذلك الصوم عند الشدائد والكوارث، ثم الصوم في ذكرى الأحداث الأليمة التي ألمت ببني إسرائيل. وقد ناقشوا الصوم في ذكرى حادثتين فقط من بين أربعة أحداث ورد ذكرها في سفر زكريا.

7 – استدرك موسى بن ميمون في العصر الوسيط ما فات علماء المشنا، فناقش في تثنية الشريعة مسألة النية في الصوم، وحكم من يتذوق الطعام وهو صائم. وقد تأثر في ذلك بكتب الفقه الإسلامي.

8 – من الأمور اللافتة للنظر فيما يتعلق بأيام الصوم الجماعي حاليا في إسرائيل:

أ- أنها أصبحت تقتصر على صوم يوم الغفران، والصوم في ذكرى الأحداث الخمسة الأليمة التي ألمت ببني إسرائيل، والتي ذكرها موسى بن ميمون.

ب- على الرغم من أن إسرائيل تعاني من ندرة مصادر المياه الطبيعية، وتستورد المياه العذبة فقد توقف الصوم طلبا للمطر، والصوم عند الكوارث والشدائد، على حين يصوم بعضهم في ذكرى أحداث النازي في السابع والعشرين من نيسان، وهناك أصوات تطالب بالصوم الجماعي في ذكرى مقتل إسحق رابين أسوة بالصوم في ذكرى مقتل جدليا.

ج- يحرص بعض اليهود الشرقيين على صوم الاثنين والخميس على مدار العام، وهذا الصوم ليس فرضا عليهم، ولم يرد ذكره في المشنا أو التلمود مما يجعلنا نرجح تأثرهم بالبيئة الإسلامية؛ نظرا لأن هذا الصوم يتفق مع صيام هذين اليومين في الإسلام في كل الأحكام، وفي عدد ساعات الصوم.

مصادر ومراجع الصوم :

1 -تثنية الشريعة (اليد القوية) موسى بن ميمون (عبرى) أربعة عشر مجلداً- إصدار مؤسسة الراف كوك، القدس، 1964 م.

2 -التلمود البابلى: إصدار «تورا لاعام»، القدس، سنة 5717 للخليقة، 1957م.

3 -التوراة، الأنبياء، المكتوبات - النسخة العبرية مضبوطة وفق قواعد الضبط والشكل (ماسورا) مطبعة طرافيتش وابنه، برلين 1926 م.

4 -دائرة المعارف العبرية (عبرى) 32 مجلداً، إصدار مؤسسة إصدار دوائر المعارف المحدودة، أورشليم، تل أبيب، 1969 - 1983 م.

5 -سدور فارحى كتاب الصلوات حسب طقس السفارادیم - للدكتور/ هلال فارحى، طبع فى مطبعة الأدون روبرتو موسكو فتش بمصر، 1917 م.

6 -كتاب المشنا (عبرى) ستة مجلدات بشروح حانوخ ألبق، إصدار مؤسسة بياليك، القدس، تل أبيب 1978.

7 -الكتاب المقدس؛ أى كتب العهد القديم والجديد دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط.

8 -لسان العرب لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

9 -محزور فارحى كتاب صلوات عيد رأس السنة للدكتور/ هلال فارحى، 1924م.

10 - معجم ابن شوشان الموسع (عبرى) ستة مجلدات، إسرائيل، 2006 م.

11 - اليهودية.. الشريعة والتطبيق (عبرى) الربى ى.م لاف، مسادا، 1988م.